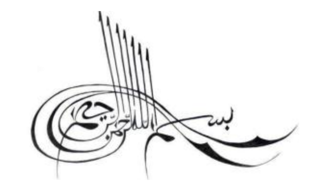
الدكتور عزت السيد أحمد

ترامب ضمير الغرب

جموح ووضوح وسياسة على المفضوح





Prof.Dr.Ezzat Assayed Ahmad

Donald Trump,Batı'nın vicdanıdır: (İnatçı, netlik ve açık siyaset)

العنوان : ترامب ضمير الغرب (جموح ووضوح وسياسة على المفضوح)

تأليف : أ.د.عزت السيد أحمد

ISBN: 978-605-7785-25-1 **الترقيم الدولي**

Kapak Tasarımı: Ezzat Assayed Ahmad

Baskı ve Cilt

Kent Matbaası

Yaratıcılık dünyası Yayınları

Birinci Basım: Temmuz 2019

25th March No11,Ayioi Omologites, 1087 Lefkoşa, Kıbrıs
Tel : 0 533 845 00 33
E.Bosta : ezumul@gmail.com

ياراتجيليك دنياسي يايانلاري– نيقوسيا ٢٠١٩ م

Yaratıcı Dünya Yayınları
Nicosia 2019

الدكتور عزت السيد أحمد

ترامب ضمير الغرب

جموح ووضوح وسياسة على المفضوح





☆ الكتاب : **ترامب ضمير الغرب**

جموح ووضوح وسياسة علىٰ المفضوح.

Donald Trump,Batı'nın vicdanıdır
(İnatçı, netlik ve açık siyaset)

☆ الموضوع: **دراسة . Araştırma**

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**

☆ Yazar: Prof. Dr. Ezzat ASSAYED AHMAD

☆ عدد الصفحات: ١٧٠ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ النَّاشر: ***Yaratıcılık dünyası Yayınları***

☆ نيقوسيا . قبرص.

☆ الطبعة الأولى: ٢٠١٩م.

☆ تصميم الغلاف بريشة المؤلف.

☆ اللوحات الداخلية من الكاركاتير العربي والعالمي.

☆ الترقيم الدولي ISBN: 978-605-7785-25-1

الإهداء

إلى من بقي من الشرفاء في الأمة

وأخصّ بالذّكر ذوي الهمّة

أهدي ثمرة جهدي

عزت السيد أحمد

المقدمة

بـدأت الإبـداع طفـلاً وأنـا في الحاديـة عشـرة مـن عمـري؛ في الشـعر والقصـة والرَّسـم بأنواعـه، وحَـتَّىٰ الروايـة كانـت أولىٰ روايـاتي وأنـا في منتصـف المرحلة الثانوية، وقد عثر أهلي عليها بَيْنَ ركام بيتي لم تتأثر، وستنشر قريباً إذا الله يسَّر.

وحَتَّىٰ الأبحاث النَّقديَّة بدأتها وأنا في المرحلة الثانوية ومنها ما نشر في كتب لاحقاً...

المهم في الموضوع أنِّي منذ الطُّفولة حزمت أمري وحسمت اختياراتي وقرَّرت أن لا أقترب من السِّياسة؛ لم أحب السِّياسة أبداً منذ الطُّفولة. كان التَّطبيل للزَّعيم عبد النَّاصر يُسَبِّبُ لي الصُّداع منذ الطُّفولة، وتبعه التَّطبيل لغيره وهلم جرًّا...

لأسباب عـدَّة كرهـت السِّياسـة وكرهـت لا أن أعمـل فيهـا وحسـب بـل كرهت أيضاً أن أتدخل فيها من قريب أو بعيد، حَتَّىٰ سماع الأخبار كان أمراً غير

وارد في ذني. كـان مـن الأسـباب مـا سـبق ذكـره وكـان منهـا إحساسـي بوجـوب تفرغـي لحقـولي الإبداعيَّـة والتَّركيـز عليهـا وعـدم هـدر الوقـت عَلـىٰ الهـوامش ومنهـا السِّياسـة الأمـر الـذي سيكون عَلىٰ حسـاب حقـولي الإبداعيَّـة بطبيعة الحال.

تغلَّقـت الأبـواب أمـامي في النشـر مبكـراً. كـلُّ المحاولات كانـت تنتهـي إِلىٰ الإخفـاق، أبرزهـا صغر سني، وعـدم وجـود مـن يقـف إِلىٰ جـانبي ويأخـذ بيـدي. تغلَّقت الأبواب بمختلف الأسباب وفي ذٰلك أحاديث طويلة عرضت لبعض منها في كتب أُخرىٰ. ولٰكنَّ ذٰلك لم يوقفني عن العمل والكتاب والبحث، وتراكمت لدي أعمال كثيرة ما بَيْنَ أبحاث نقدية وأشعار وقصص ورواية ومسرحيتان وعدة مسرحيات قصيرة.

في عام ١٩٩١م انفتح أمامي أول أبواب النشر فكان بحثاً جماليًّا في مجلة المعرفة... ومن حيث لا أدري ولا أرغب ولا أريد تتالت مقالاتي السياسية تحليلاً للوضع السِّياسي العربي والعالمي الذي فرض إيقاعه عليَّ وعَلىٰ العالم أجمع، وكان ثاني بحثٍ منشورٍ لي، غير المقالات، سياسي بامتياز أيضاً.

وفي الخضـم ذاتـه مـن حيـث لا أدري ولا أريـد ولا أرغـب وجـدت أنَّ أول كتـاب ينشـر لي كتـاب سياسـي في العـام ذاتـه ١٩٩١م وكـان موضـوعه الولايـات المتَّحدة الأمريكيَّة وعنوانه كيف ستواجه أمريكا العالم؟.

وتمضي السنون تباعاً إِلىٰ اليوم وألقي نظرة عَلىٰ كتبتي التي نافت عن المئة ولا أتفاجـأ ولٰكـنَّ أجـد أنَّ نحـو نصـفها للسياسـة الـتي عزمـت أن لا أقـترب منهـا بحال من الأحوال.

الطَّريف في الإطار ذاته أنَّ اللقاءات التِّلفزيونيَّة معي منذ ذٰلك الوقت أيضاً نافت عن المئة تقريباً في محطَّات كثيرة... الطَّريف في الأمر أن لقائين فقط منهما فيما أذكر لا علاقة لهما بالسِّياسة والبقيَّة كلُّها حوارات سياسيَّة.

الطَّريف أيضاً الآن أنَّ نحو نصف كتبي السِّياسية أفردت أو شبه أفردت للسِّياسة الأمريكيَّة. وهٰذا أمرٌ منطقي في سياق الحقبة التاريخيَّة المنصرمة التي بدأت النَّشر فيها، فالولايات المتَّحدة الأمريكية هي إمبراطورة العالم بامتياز شاء من شاء وأبىٰ من أبىٰ، ومن الطَّبيعي أن تكون السِّياسات العالميَّة كلُّها مرهونةٌ لها ومرتبطةٌ بها وعَلىٰ علاقة بها.

العلاقة بَيْنَ السِّياسة الأمريكيَّة والسِّياسة الغربيَّة علاقة وثيقة مع كلِّ ما يبدو بَيْنَهما من خلافات وتوتر في أحيان غير قليلة. وقد تحدَّثت في ذٰلك مراراً في كتبي السِّياسيَّة السَّابقة. ويأتي هٰذا الكتاب ليس دليلاً أو أدلة جديدة بل وجهاً جديداً من أوجه العلاقة بَيْنَ السِّياسة الغربيَّة والسِّياسة الأمريكيَّة.

تبدأ الحكاية هنا مع مقال نشرته في فترة انتخابات ترامب ونجاحه ولم أعثر عليه في حقيقة الأمر، رُبَّما دمجته في فصل من فصول كتبي وهٰذا الأغلب.

بدأ ترامب حملته الانتحابية بمناهضة الإسلام والمسلمين تحديداً، وبنىٰ مجمل حملته الانتخابيَّة عَلىٰ وعود بمحاربة الإسلام والمسلمين... وحدِّث في ذٰلك ولا حرج. بل إنَّ مدير حملته الانتخابية صرح علناً قائلاً: «هناك مليار وسبعمئة مليون إرهابي... هم المسلمون». أي كل مسلم إرهابي حَتَّىٰ الجنين في بطن أمه، وفي أيِّ مكان في العالم، ومهما كانت جنسيته، لأنَّ هٰذا

الرَّقم هو كلُّ مسلمي العالم في كلِّ أسقاع الأرض بمن فيهم من ما زالوا في بطون أمهاتهم أجنَّة.

كانت كلُّ استطلاعات الرَّأي واللقاءات التِّلفزيونيَّة مع المواطنين تشير إِلىٰ حقدهم عَلىٰ ترامب ورفضهم له ورفضهم أفكاره وعدم الرَّغبة في أن يكون رئيسهم... كانت هيلاري كلينتون متفوِّقة عليها دائماً في استطلاعات الرَّأي بنسبة عالية من الأصوات وليس بفارقٍ ضيلٍ، حَتَّىٰ تراءى للجميع أنَّ خسارة ترامب وفوز هيلاري كلينتون محقَّق، ولا يوجد أدنىٰ شكٍّ في ذٰلك.

وفي يوم الانتخابات فازت هيلاري كلينتون بفارقٍ ضئيلٍ بأصوات النَّاخبين، ولٰكنَّ بالتَّصويت الجمعي للولايات فاز ترامب بفارق ضئيل أيضاً.

لم نعرف من انصدم ولم نعرف من تفاجئ. ولٰكنَّ فوز ترامب كان تعبيراً صارخاً عن العقليَّة الغربيَّة المرواغة. من غير الممكن أن يكون فوزه عَلىٰ مشروعه في محاربة الإسلام والمسلمين مسألة مصادفة، مهما قيل عن تزوير في الانتخابات بتدخُّل روسيٍّ كما جرىٰ الحديث.

في أثناء حملة ترامب الانتحابية وعرض مشروعه ومشاريعه الانتخابيَّة القائمة كلُّها عَلىٰ العنصريَّة ضدَّ الإسلام والمسلمين، وحدثت فيها حدواث كثيرة جدًّا في الاعتداء عَلىٰ الإسلام، في تلك الأثناء وقبل الانتخابات كتبت عَلىٰ صفحتي في الفيس بوك والتويتر قائلاً: «لا تتفاجأوا إذا علمتم قريباً أن دولتان عربيتان خليجيتان هم الممول والدَّاعم لحملة ترامب الانتخابيَّة»، وعنيتُ بهما السُّعودية والإمارات. وهٰذا ما تبيَّن في الأيام الأخيرة من خلال تسريبات وفضائح متعدِّدة كشفت عن التَّمويل الإماراتي ولم تقترب من التَّمويل والدَّعم

السُّعودي، والسُّعودية أشدُّ دعماً وتمويلاً من الإمارات فكلاهما رأس واحد، ولٰكنَّ السُّعودية مثل العادة تحرص الحرص كله عَلىٰ عدم الظهور في الواجهة، وتستطيع أن لا تظهر في الواجهة لأسباب محدة وواضحة عَلىٰ رأسها مكانة بلاد الحرمين الرمزية في العام الإسلامي.

نجاح العنصري ترامب في رئاسة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة قائدة العالم الغربي وقدوته... ليس استثناء ولا اعتباطاً ولا مصادفةً. إنَّهُ تعبيرٌ عن كوامن النَّفس الغربيَّة ورغباتها. النَّفس الغربيَّة وليس الأمريكيَّة وحسب، فالأمر ذاته يتكرَّر في الدُّول الأوروبيَّة الغربيَّة كلِّها؛ استفحال العنصريَّة ضدَّ الإسلام والمسلمين تحديداً، حَتَّىٰ من دون لف ودواران، من دون إضافة بهارات تخفِّف الصُّورة بضمٍّ أجانب غير مسلمين إِلىٰ حقدهم العنصري لإحداث قليل من التَّمويه... والمجتمع يرفضهم في استطلاعات الرَّأي وفي اللقاءات التلفزيونية... ولٰكنَّهُم يصعد نجمهم، وينجحون في الانتخابات، وتتزداد مقاعدهم البرلمانيَّة...

ترامب لم يكن مثل استطلاعات الرأي الغربية، بل كان واضح الجموح تام الوضوح وكانت سياسته عَلىٰ المكشوف المفضوح. وبهذا المعنى كان ترامب ضمير الغرب، لقد نقل المكنون المخفي إِلىٰ العلن، وفكَّر بصوت عالٍ.

وبسبب هٰذا الوضوح الفاجر في الحرب عَلىٰ الإسلام وفي أشياء كثيرة أظنها كلها مرتبطة بالعقلية العنصرية وخاصَّ ضد الإسلام. ذهب كثيرون في الغرب قبل الشَّرق إِلىٰ نعت ترامب بالجنون والحماقة. الغربيون واضحون في نعتهم فهم أحمق لأَنَّهُ يفصح عما في ضمائرهم ويجب أن يكون مخفيًّا. أما غير

الغربيين فقد نعتوه بذلك أسوة بالغربيين من جهة ولعدم اعتيادهم عَلىٰ هٰذا الوضوح فظنوه أحمقاً. ولٰكنَّ ترامب ليس مجنوناً ولا أحمقاً كما يتخيَّل الكثيرون... وقد ردَّ عَلىٰ هٰذا الاتهام بنفسه في بداية رئاسته: «يصفوني بأنِّي مجنون، كيف لمجنون أو أحمق أن يصنع ثروةً هائلةً مثل ثروتي؟!...».

الكتاب بالمجمل قراءات في سياسة ترامب وأمريكا أكثر مما هو قراءة في السِّياسة الغربيَّة. ولٰكنَّ الإقران بَيْنَ عقليَّة ترامب وعقليَّة الغرب كما جاء في بعض فصول الكتاب إنَّما كان لتأكيد حقيقة تواشج العقليَّة الغربيَّة وتوازيها وعدم تعارضها في القضايا الخارجيَّة وخاصَّة الجوهرية منها، وخاصَّة منها ما يتعلق بمحاربة الإسلام والمسلمين.

الدكتور عزت السَّيِّد أحمد

تركيا في ١/ ١١ / ٢٠١٩م

*

الفصل الأول

تعالوا نتفاءل بالموقف الأمريكي



المفاجئ أن يتفاجأ الكثيرون جدًّا من الموقف الأمريكي الواضح الصَّريح في الأيام الأخيرة من الثَّورة السُّورية ومن النِّظام السُّوري. والمفاجئ أن يتفاجأ الجميع من التَّناقض الواضح الصَّريح فيا لموقف الأمريكي.

الحقيقة أنِّي بتُّ أخجل من نفسي علىٰ كثرة تكراري الكلام في حقيقة الموقف الأمريكي منذ نحو ست سنوات تكاد تكون عمر الثَّورة حَتَّىٰ لحظة كتابة هٰذه السُّطور. وصار الملل من هٰذا التَّكرار يُقشعر بدني. حَتَّىٰ لقد توقفت عن الكتابة في الموقف الأمريكي والتَّعليق عليه منذ أكثر من سنة تقريباً، إلا لمماً، إذ منذ أكثر من سنة جمعت ما كتبته عن الموقف الأمريكي منذ بداية الثَّورة ونشرته في كتاب حمل عنوان العدوان الأمريكي علىٰ سوريا.

ما الجديد الذي دعاني للعودة إلىٰ الكلام علىٰ الموقف الأمريكي؟

الجديد جديدان عتيقان. الجديد الأول التَّصريحات الأمريكيَّة التي كانت أمس الثاني من نيسان ٢٠١٧م، والجديد الثَّاني هو المفاجأة التي أبداها الكثيرون وعلىٰ رأسهم المحللون السِّياسيون ووسائل الإعلام.

علىٰ الرَّغْمِ من كلِّ الوضوح الذي كتبت عنه مراراً في حقيقة الموقف الأمريكي من الأسد والثَّورة السُّوريَّة، فقد ظلَّ المحلِّلون والقادة الثَّوريون يعولون علىٰ الكذب الأمريكي علىٰ أنَّهُ الحقيقة، ويبتعدون عن حقيقة الموقف الأمريكي التي صدَّقوا فيها منذ البداية؛ صدَّقوا الكذب وكذَّبوا الصدق. حَتَّىٰ ترامب في حملته كان واضح الهدف تجاه سوريا وإن لم يصرح به، ومع ذٰلكَ عوَّل الكثيرون عليه لإنقاذ السُّوريين. المفاجأة هنا هي فيما سيأتي بعد كتابة هٰذا الكلام. المفاجأة هي أنَّ هٰؤلاء المحللون السِّياسيون والثَّوريون سيظلون يترقبون وينتظرون دعماً أمريكيًّا للثورة، وإسقاط بشار الأسد والنِّظام السُّوري. ولا تبتعدوا كثيراً فأمس توحَّدت الكثير تشكيلات الجيش الحر السُّوري لتكون تحت تصرف الإدارة الأمريكية في محاربة كلِّ من تريد أمريكا محاربة، وفي الوقت ذاته ممنوع عليها محاربة الأسد أو الاقتراب منه. وهٰذا الكلام الأخير ذاته كتبت عنه منذ ثلاث سنوات علىٰ الأقل.

أعود إلىٰ الجديد الأمريكي. لا جديد في حقيقة الأمر علىٰ الرَّغْمِ من تسويقه أمريكيًّا وعالميًّا علىٰ أنَّهُ جديد. حَتَّىٰ إنَّ تيلرسون وزير الخارجية الأمريكي قال أمس: «لقد أضعنا الوقت والجهد مع الإدارة السَّابقة في موقفها الخاطئ من الأسد». في محاولة منه لتقديم الموقف الأمريكي علىٰ أنَّهُ موقف جديد. وهو ليس كذٰلكَ أبداً، ويمكن العودة كتابي العدوان الأمريكي علىٰ سوريا الذي صدر قبل أكثر من سنة، وهو كل ما كتبته وتنبأت به عن الموقف الأمريكي من الثَّورة منذ انطلاقتها إلىٰ تاريخ نشر الكتاب.

فما هو هٰذا الجديد القديم؟

أمس أعلنت نيكي هيلي سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة أنَّ «إسقاط الأسد ليس من أولويات أمريكا، ولا يعنيها الأمر، وإنما أولويتها القضاء علىٰ داعش، وربَّما بمساعدة بشار الأسد في البقاء». وفي أمس ذاته بالتزامن مع السَّفيرة أعلن وزير الخارجية الأمريكية ريتشارد تيلرسون التَّصريح ذاته وربَّما أقوى منه إذا قال: «علينا جميعاً أن نأخذ المعطيات الجديدة بعين الاعتبار، رحيل الأسد لم يعد ممكناً، وليس أولوية من أولوياتنا».

أثار هٰذا الكلام ضجَّةً واسعةً في مختلف أرجاء العالم. وكأنَّ الجميع تفاجأ من هٰذا الموقف. شيء مضحكٌ في حقيقة الأمر. بل المضحك أكثر أنَّ بعض المحليين، وأكثرهم من جلاوزة التَّنظير للثَّورة السُّوريَّة ذهبوا إلىٰ أنَّ أمريكا تريد التَّفرغ للقضاء علىٰ داعش، ثمَّ تنظر في موضوع الأسد. هٰذا هراء ظهر قبل أكثر من سنتين مع بدء الحملة علىٰ داعش، وسخرت به في ذٰلكَ الحين، إذ فرح الكثيرون وترقبوا القضاء علىٰ داعش لتتفرغ أمريكا للقضاء علىٰ الأسد، في الوقت الذي كان أوباما وكيري ومختلف المسؤولين الأمريكيين يقولون إن القضاء علىٰ داعش قد يستغرق عشرات السنين.

تصريح السَّفيرة الأمريكية هٰذا واضح لا لبس فيه، وقد سبقته عشرات التَّصريحات المشابهة علىٰ مدار عهد أوباما. ولٰكنَّ أحداً لم يرد أن يراها ولا أن يفهمها. كلهم هجموا بالفهم علىٰ الكذب. مثلما حدث في هٰذا اليوم الثالث من نيسان ٢٠١٧م، إذ عادت السَّفيرة الأمريكيَّة لتتناقض مع ذاتها هي لا مع مسؤول آخر، وتقول: «سنواصل العمل لتقديم الأسد إلىٰ العدالة ومحاسبته علىٰ

جرائمه». هلَّلَ الجميع لهٰذا التَّصريح وفرحوا به فرح الهبلان، وكان ما كان البارحة ما كان.

أنا لن أسأل هٰؤلاء الهبلان عن هبلهم. لقد فقدت الأمل منهم، مع عدم تشكيكي في نواياهم بطبيعة الحال، وإنَّما الشك في عقولهم فقط. ولٰكنَّ لا بُدَّ أن أسأل السفير الأمريكية والإدارة الأمريكية: ألا يستحون من هٰذا التَّناقض الفاضح؟ ألا يستحون أمام الأمم؟ أمام التاريخ؟

صحيحٌ أنَّهُ عندما يكون عدوك أهبل إلىٰ هٰذا الحدِّ فإنَّك ستستمتع باستهباله، ويوجد من يسوِّغ هٰذا الاستهبال. ولٰكنَّ ليس علىٰ الملأ هكذا. إنَّ التَّناقضات الأمريكية علىٰ درجةٍ مقرفةٍ من الفجاجة والوقاحة. وإذا كان الأكثرون قد انتبهوا إلىٰ هٰذا التَّناقض اليوم فإنَّ هٰذا التَّناقض قائم واضح منذ بدايات الثَّورة السُّورية... ولٰكنَّ أحداً لم يرد أن يفهم ولا أن يرى.

وفي إطار هٰذا التَّناقض أعود لأكرر متسائلاً، ردًّا علىٰ تشدقهم المتكرر بأنَّ «مصير الأسد يقرره السُّوريون». هٰذه اللازمة الموسيقية التي كررها الروس والإيرانيون وإعلام النِّظام السُّوري ذاته... والأمريكيون. الكل انتبه وسخر بتعليقات الروس والإيرانيين والإعلام السُّوري ولم ينتبهوا إلىٰ أمريكا، ولم ينتقدوها، ولم يروا عيباً أو خللاً في هٰذا التشدق.

ردًّا علىٰ هٰذا التَّشدق أتساءل: «كيف يمكن أن يقرر السُّوريون مستقبل الأسد أو النِّظام وأنتم تشترون ذمم ممثلي الثَّورة وقادتها، وتمنعون عنهم السِّلاح، وتسرقون السِّلاح منهم... بل وتشاركون النِّظام في قصفهم وقتلهم وتشريدهم؟». أقول ذٰلكَ للأمريكيين لا للروس ولا للإيرانيين.

هٰذا السُّلوك الأمريكي ليس جديداً، لقد بدأ منذ اللحظات الأولى للثَّورة وليس بعد حين. ولا أكرِّر ما كررته في هٰذا الشأن عشرات المرات.

تعدَّدت الآراء المفسرة لهذه الموقف الأمريكي. ولٰكنَّ حقيقة واحدة تقف وراء الموقف الأمريكي. لا تحتاج إلىٰ تفسير ولذٰلك لا أفسرها. انظر بعين العقل إلىٰ ما دار ويدور، وكيف دار ويدور، تصل إلىٰ التَّفسير من حاجة إلىٰ كثير من التَّفكير.

تركيا ف ي٣/ ٤ / ٢٠١٧م



*



الفصل الثاني

الثورة السورية
أفقدت أمريكا والعالم توزانه



لا شك في أنَّ الثَّورة السُّوريَّة هي التي أحرجت الجميع في أرجاء العالم وجعلتهم يتكلمون مع أنفسهم، جعلتهم يمشون وهم يتلفتون حولهم قلقاً وأرقاً. ومع ذٰلكَ يدارون علىٰ هٰذه الحقيقة ويخفونها بالتَّضليل والتَّعتيم علىٰ حقيقة المأساة السُّوريَّة التي تعد بحق أبشع مأساة في تاريخ البشر حَتَّىٰ الآن.

التَّناقضات في السِّياسة أمرٌ واردٌ وليس بجديدٍ في السِّياسة عبر التَّاريخ. كثيراً ما وجدنا دولة تحالف دولة يوماً وتحاربها يوماً آخر أو بعد حين، وكثيراً ما وجدنا متحالفين تحاربوا إثر حدثٍ ما، أو متحاربين تحالفوا إثر حدث ما... وغير ذٰلكَ كثير مما يدور في هٰذا الإطار.

مع الثَّورة السُّوريَّة انقلبت كلُّ الموازين وتغيرت المعادلات؛ الثَّورة السُّوريَّة أفقدت العالم توازنه النَّفسي والانفعالي والعاطفي والعقلي والمنطقي... أقول هٰذا رشًّا ورشقاً وأزعم أنَّهُ لا مبالغة فيه أبداً. فبسبب الثَّورة تجاوزت تناقضات كبار السِّياسيين حدود المعقول والمقبول، ومعهم المحللين السِّياسيين الذين باتوا كاذبين مخادعين مضللين علىٰ الرَّغْمِ منهم، أتكلم عن المحللين المختصين لا الأدعياء، بسبب كثرة ما وقعوا فيه من تناقضات وعجز عن فهم المعادلات، ولذٰلك تجدهم كل يوم برأي وموقف وتحليل، وكل يوم يناقضون ما كانوا عليه من قبل.

أكرر، التَّناقض في السِّياسة أمر وارد، غير محبَّبٍ بطبيعة الحال ولٰكنَّهُ وارد، ولٰكن بسبب الثَّورة السُّوريَّة صار السِّياسيون الكبار وسياسو الدول الكبرى أكثر من غيرهم يقعون في تناقضات لا يمكن احتمالها ولا قبولها ولا تسويغها، بل إنَّ الروس والإيرانيين تحديداً، والنِّظام السُّوري بطبيعة الحال، يكذبون كذباً واضحاً مفضوحاً جهاراً نهاراً، ووصلوا بكذبهم إلىٰ درجة اللامبالاة.

كتبت كثيراً عما وقع فيه السِّياسيون الأمريكان تحديداً، ومعهم الأوروبيون، من تناقضات محرجة منذ بدايات الثَّورة السُّوريَّة، واليوم بعد غياب نحو سنة أو أكثر عن الموضوع أعود إليه، ليس لعودة التَّناقض، فالتَّناقض لم يعد لأنه لم يغب أصلاً، وليس لازدياد في الدرجة فما وجدت من تغير درجة التَّناقض. وإنما الحدث أربك العالم من جديد وهو مجزرة الكيماوي في خان شيخون التي ارتكبها النِّظام السُّوري في الرابع من هٰذا الشَّهر، نيسان، ٢٠١٧م.

كتبت في يوم المجزرة ما أتوقع أن يكون من ردة فعل عالميَّة علىٰ جريمة بحق الأمريكان والغربيين أنفسهم قبل أن تكون بحقِّ السُّوريين. لم يكن غير ما توقعت، خلاف كل المحليين، ولن يكون غير ما توقعت. ولٰكنَّ الذي حدث بعد حكمي في المقال المذكور هو قيام الجيش الأمريكي في اليوم التالي بقصف مطار الشعيرات بحمص بست وخمسين صاروخاً انتقاماً من ضربة الكيماوي. هٰذه الضربة حركت العالم وكركبت الجميع، وتصاعد الخطاب الأمريكي، وارتفعت لهجة الأوروبيين، وتغيرت وتيرة الخطاب الرُّوسي... وراح الجميع يتوقعون عودة أمريكا إلىٰ الميدان وهلم جرًّا من هٰذه الأوهام.

ما حدث هو قصف كومة تراب في مطار الشعيرات بست وخمسين صاروخ توما هوك، بتكلفة خمس وستين مليون دولار... وانتهت الحكاية. كل هٰذه الصواريخ بهٰذه التكلفة التي ستدفعها السعودية بطبيعة الحال والعادة، لم تجرح عنصراً للنظام، ولم تعطب طائرة أبداً.

كانت هٰذه المعلومات وجدها تكفي لمن ألقى السَّمع وهو بصير أن يدرك أن سخافة هٰذه الرسالة الأمريكيَّة إذا كانت تعني أنَّها تنتقم أو ترد علىٰ استخدام الكيماوي، أوباما كان أكثر شدة من هٰذا الترامب الشديد، إذا أربك الدنيا كلها بحالة الاستنفار التي افتعلها، وسحب السلاح الكيماوي بعدها. أما ترامب فقصف كومة تراب وعامود كهرباء، وقال للأسد: لا تستخدم الكيماوي مرة أُخْرَىٰ، إذا استخدمت الكيماوي سأضرب كومة تراب أُخْرَىٰ وعامود كهرباء آخر.

تخيلوا أنَّ هٰذه هي ردة فعل أمريكا التي تعد ضربة الكيماوي الجديدة هٰذه اعتداء علىٰ أمريكا وعلىٰ السِّيادة الأمريكيَّة شخصيًّا قبل أن تكون اعتداءً علىٰ السُّوريين، إذ إنَّ أمريكا هي التي سحبت السِّلاح الكيماوي عام ٢٠١٣م، وهي التي جعلت الأسد يوقع علىٰ تعهد عدم استخدام الكيماوي مرة أُخْرَىٰ، وهي منعت تطبيق القانون الدولي بمعاقبة الفاعل تحت البند السابع بسبب قبولها بهٰذا الحل.

كان يمكن أن تنتهي المسألة بهٰذا الغباء ويسكت الأمريكان وتموت الحكاية في مكانها، ولٰكنَّ الثَّورة السُّوريَّة كما بدأت جعلت الجميع يمشي ويكلم نفسه مثل المهبول. فما توقف الأمريكيون عن التصريحات المدهشة بغباء

تناقضاتها وسرعتها. في اليوم الأول من الجزرة كان ترامب يرغد ويزد في اتجاه، وبعد دقائق راح تيلرسون وزير خارجيته يبلعط في الاتجاه المعاكس.

حسناً، لنترك يوم المجزرة وفورة الدم كما يسمونها. اليوم التاسع من نيسان أي بعد أيام من المجزرة والقصف الأمريكي لمطار الشعيرات، بعد ثلاث أيام من التخبط والتلبط الأمريكي بسبب الضربة التي وضعتهم في مواجهات توقعات العالم وتحليلاتهم ورغباتهم ورجاءاتهم ومنهم الكونجرس ذاته الذي بدا مثل جماهير المنكوبين فرحاً بالتدخل الأمريكي ومرحباً به، ورُبَّما توقعوا مثلما توقع المهابيل الاستمرار في إسقاط النِّظام.

المهم، بعد هٰذه الهرج والمرج الذي أحدثته الضربة خرج علينا الجوكران تيلرسوونيكي في لقائين تلفزيونيين وتناقضات مضحكة ومربكة في اللقاء ذاته، كلٌّ علىٰ حدةٍ.

نيكي هيلي سفيرة أمريكا في الأمم المتحدة قالت: «لقد صارت أوليات الرئيس ترامب هي القضاء علىٰ الدولة الإسلاميَّة، وإخراج إيران من سوريا، وإسقاط الأسد». وبعد قليل فقط قالت: «القضاء علىٰ الدولة الإسلاميَّة يقتضي بقاء الأسد والتعاون معه». هل هٰذا تهريج؟ كيف يكون إسقاط الأسد أولويَّة أمريكيَّة وفي الوقت ذاته يجب علىٰ أمريكا التعاون مع الأسد من أجل القضاء علىٰ الدولة الإسلاميَّة؟ يعني بشار الأسد ربوت مثلاً يعمل بالبرمجة بلغة الفورتران أو البيزيك؟! كيف سيتعاون الأسد مع أمريكا وهي تريد إسقاطه؟ السؤال بسيط يسألة أي طفل صغير ويستغرب من هٰذا الذي يبدو غباء أمريكيًّا. وإذا تعاون الأسد معهم فكيف يمكن أن نفسر ذٰلكَ؟

ومع ذٰلكَ المشكلة في نظري هي التَّناقض العلني الصريح من المسؤول ذاته في الموقف ذاته والساعة ذاتها... واقعيًّا يمكن أن نفهم تناقضات ما تحت الطاولة وما فوقها، ولٰكن أن يكون بهٰذه الطريقة الهستيريَّة فهٰذا ما هو غير مسبوق: سنقتل الأسد ونريد أن نتعاون معه، لا نريد أن يبقى الأسد ولٰكنَّ بقاءه ضروري!!!

في الوقت ذاته وفي اليوم ذاته كان تيلرسون وزير الخارجيَّة الأمريكيَّة في لقاء آخر ينطح بحيطان التَّناقض بالطريقة ذاتها أيضاً. قال: «أولويات أمريكا هي القضاء علىٰ الدولة الإسلاميَّة... مصير الأسد مسألة يقررها السُّوريون علىٰ المدى البعيد... بعد أن نقضي علىٰ الدولة الإسلاميَّة يمكن أن نتفرغ لتأمين الاستقرار في سوريا...».

الكلام واضح لا لبس فيه، ولٰكنَّ الحمقى يستنتجون من الكلام ما لا يوجد فيه، كمن يريد استحضار البر من العهر. هو منطو علىٰ تناقض في حقيقة الأمر من ناحية تقرير المصير الذي كذب الأمريكيون في شأنه كثيراً، وتناقضوا في كثيراً، وهٰذا التصريح تحديداً في حقيقة الأمر يؤكد حقيقة قاطعة عندي وهي أن السِّياسة الأمريكيَّة الحاليَّة حملت إرث المرحلة الأوباميَّة كما هو وتتابعه كما هو من دون أي تغيير، وكلاهما أوباما وترمب في الشأن السُّوري ينفذان أوراق مكتوبة لهم، وليست من إنشائهما.

علىٰ أيِّ حالٍ، قوله: «مصير الأسد يقرره السُّوريون علىٰ المدى البعيد»، يعني بعد نحو عشرين سنة مثلاً يمكن أن يقرر السُّوريون مصير الأسد ومستقبله. وقوله: «بعد أن تقضي أمريكا علىٰ الدولة الإسلاميَّة يمكن أن تتفرغ لتأمين أو

دعم الاستقرار في سوريا»، يعني دعم استقرار الأسد وليس إسقاطه إزاحته عن السلطة. ومن ظنَّ غير ذٰلكَ فهو واهم.

إذن المسألة ليست مسألة تناقضات فجة كما يبدو الأمر. هناك أمران في هٰذا التَّناقضات أولهما الحرج الشَّديد الذي لا بديل عنها أمام المسؤولين الذي يوقعهم في التَّناقض علىٰ الرَّغْمِ من أنوفهم، وثانيهما اللعب علىٰ الكلمات والمفاهيم التي توحي بمواقف عكس الحقيقة ينجرف وراءها المحللون السِّياسيون ويبنون عليها أبنية تنهار تلو بعضها.

تركيا في ٩/ ٤/ ٢٠١٧م



*

الفصل الثالث

اقعلوا شوككم بأيدكم
ولا تفرحوا بالتصعيد الأمريكي


trump
trump
trump
@AlhedArt

أبدأ من حَيْثُ كنتُ أريد أن أنتهي لأقول لكم توضيحاً لحقيقة التصعيد الأمريكي: والله والله إن عاد نصف ما تبقىٰ من السُّوريين الثائرين إلىٰ حضن الوطن ليأخذنَّ بشار الأسد جائزة نوبل للسَّلام، وبدعم أمريكي خاصٍّ، وجائزة نوبل للسَّلام أصلاً قرارٌ أمريكيٌّ إسرائيليٌّ في معظم ميادينها.

ما زال العالم منفعلاً انفعالاتٍ شديدةَ اللهجة ترحيباً بالضَّربة الأمريكيَّة لمطار الشعيرات انتقاماً من استخدام الكيماوي وارتكاب مجزرة في خان شيخون بإدلب... ولم يتوقَّف الأمر عند التَّرحيب بل انعوجت الموازين إلىٰ توقُّع أنَّ أمريكا أخذت القرار وانتهىٰ الأمر وهي ماضيةٌ في القضاء علىٰ الأسد وعلىٰ نظامهِ، واختلطت المشاعر بالتَّوقُّعات بالرَّغبات بالتَّصريحات وصار الموضوع سلطة مخلوطة مخبوصة... بل يضحكني الكثيرون بنشر تسريبات توحي بأنَّ نهاية الأسد والنِّظام قاب قوسين أو أدنى، وأنَّ أمريكا تضع أصابعها علىٰ أزرار نسف الأسد ونظامه، وبعضها يأخذ الأخبار عن طاولة ترامب شخصيًّا.

سأفاجئكم بقولي: أشدُّ ما أخاف أن يكون استخدام النِّظام السُّوري للكيماوي قد كان بطلب أمريكي. والدَّليل علىٰ ذٰلكَ أنَّ بشار الأسد ليس

مضطراً لاستخدام الكيماوي. إذا كان في عام ٢٠١٣م مضطراً للجم التَّقدم المثير للجيش الحر في أرجاء سوريا حينها، فما احتياجه إلىٰ ذٰلكَ الآن والأمور منطقيًّا كما يبدو تسير كلُّها لصالحه وخاصَّة التَّصريحات الأمريكيَّة السَّابقة علىٰ الضَّربة بأيامٍ، وقبلها تصريحات ترامب في حملته الانتخابيَّة؟ لا مسوِّغ لهذا الاستخدام إلا الجنون النِّظامي أو طلب أمريكي أو رُبَّما روسي لأسباب أُخْرَىٰ... الجنون النِّظامي يحتاج إلىٰ تقرير طبيٍّ وإلىٰ تفسيرات لن تجد مكانها في المنطق.

قد يعترض معترض بأنَّ الأسد يريد أن يروز ردَّ الفعل الأمريكي ورُبَّما الدولي من أجل التَّصعيد في استخدامه لحسم الحرب علىٰ الثَّورة والشعب. تفسير ضعيف متهافت لأنَّهُ يعرف ردَّة الفعل الدوليَّة علىٰ استخدام السِّلاح الكيماوي من دون استخدامه، فسكوت العالم عن مجازر أشنع بألف مرَّة من استخدام الكيماوي لا يسمح له أبداً باستخدام الكيماوي من دون ردة فعل جماهيريَّة قبل السِّياسيَّة. ناهيكم عن أنَّهُ يفترض أنَّهُ تخلى عن السِّلاح الكيماوي وفق الاتفاق الدولي معه عام ٢٠١٣م، ومن ثمَّ فإنَّ استخدامه الكيماوي هو استفزاز للمجتمع الدولي وأمريكا قبل أن يكون استخدام سلاح محرم دوليًّا.

لذٰلكَ أقول أخشى أن يكون استخدام الكيماوي بطلب أمريكي، لأنَّ روسيا لا مصلحة لها في مثل هٰذا الطلب.

علىٰ أيِّ حال، سنترك هٰذا الحدس جانباً، وسننظر في الحدث مستقلاً عنه. الحدث مستقلاً تكرر في مبدئه عشرات المرات منذ بداية الثَّورة السُّوريَّة.

كلما تعالى الصوت الأمريكي قليلاً ضدَّ الأسد ولو بالخطأ أو غير القصد تغير المزاج العالمي وتهاوت العقول متهافتةً في توقع أنَّ أمريكا قرَّرت الخلاص من الأسد، ودائماً ينسجون الأوهام والأحلام والتحليلات الغبيَّة والإصرار علىٰ أنَّ أمريكا قرَّرت التَّخلص من الأسد أو إسقاط النِّظام... وبعد رجحٍ من الزمَّن يبدؤون بلوم أمريكا واتهامها والهجوم عليها بالشَّتائم والإدانات، ثمَّ يعودون إلىٰ غبائهم بعد أول تصعيد أمريكي من أيِّ نوعٍ ضدَّ الأسد.

حسناً، ألا يمكن التماس أيِّ عذر لهٰذا العقول تحاشياً لاتهامها بالغباء؟

أبداً، فالخطاب واضح صريح لا لبس فيه، فماذا أفعل إن كانت هٰذه العقول لا تريد أن تفهم ولا ترى إلا جزءاً من التصريح ولا تلفت إلىٰ تتمته أو طبيعته؟ مثلهم مثل الذين يقولون: قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة»، ولا يقرؤون تتمة الآية.

كتبت عن تناقضات الأمس وما قبله وما فيه من دلالات واضحة علىٰ أنَّ أمريكا لن تتخلى عن الأسد مهما بدا ذٰلكَ صريحاً في بعض التَّصريحات، ولم يصل الأمر أبداً في تصريحاتهم إلىٰ عزمهم ولا نيتهم ولا رغبتهم في إسقاط نظام الأسد ولا الأسد ولا آل الأسد. فمن يأتي الأغبياء بهٰذه الترهات؟

لننظر في مفاجأة صبيحة هٰذا اليوم.

بعد أسبوع من الضَّربة الأمريكيَّة لمطار الشِّعيرات... وبعد الصُّور التي أثبتت أنَّ أمريكا قصفت عموداً عليه ميكروفون وكومة تراب يفترض أن تقف تحتها طائرة ولٰكنَّها كانت فارغة... وبعد إقلاع طائرات النِّظام من المطار ذاته وقصفها خان شيخون ذاته وغيرها من المدن السُّوريَّة...

وبعد تأكيد الجميع بمن فيهم النِّظام السُّوري والجانب الأمريكي عدم وجود قتلى أو خسائر تذكر علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ ممن مصلحة النِّظام التهويل في القتلى والخسائر... بعد ذٰلكَ كله يخرج علينا وزير الدفاع الأمريكي صباح اليوم ليقول: إنَّ القصف الأمريكي قد أخرج مكار الشعيرات عن الخدمة، ودمر ٢٠% من طيران النِّظام.

هل هٰذا ضرب من التَّخريف أم التَّحشيش أم التَّحشيس أن التَّحسيش؟

إذا كان عند النِّظام فقط مئة طائرة فإنَّ عشرين طائرة قد دمرت علىٰ الأقل. هل شاهد أحد في الدنيا طائرةً واحدةً مدمرةً حَتَّىٰ في التَّصوير الأمريكي إن وجد؟

الكذب موجود في الحروب، نعم، ولٰكن ليس إلىٰ هٰذا الحدِّ التهريجي التحشيشي الذي يتجاوز الخيال والمنطق مثل كذب النِّظام السُّوري الذي يتجاوز حدود الخيال بزعم أنَّهُ لم يستخدم الكيماوي، في الوقت الذي كان يحتفل هو وأنصاره باستخدام الكيماوي، مثل ما حدث عام ٢٠١٣م، قالوا: المعارضة هي التي استخدمت السلاح الكيماوي ضدَّ الأطفال العلويين واحتفلوا بتوزيع الحلوى فرحاً وابتهاجاً بمقتل أطفالهم!!

حسناً، قد لا يوحي هٰذا الكذب بشيء لأحد، أليس كذٰلكَ؟

نعم، لا يوحي، ولٰكنَّهُ عندي يشير إلىٰ عدم رغبة أمريكا في إسقاط الأسد. ولٰكن كيف يوحي بذٰلكَ أو يشير إليه، وكيف وصلتُ إلىٰ هٰذه النتيجة؟ لا أطيل الشَّرح فالتَّصريح لم ينفع حَتَّىٰ تجدي قراءة ما وراء السطور. تذكروا علىٰ

سبيل المثال أنَّ وزير الدفاع الأمريكي خرج للتصريح بعد نحو أسبوع من الضربة وفكروا فيما قد يعنيه ذٰلكَ.

لنترك وزير الدفاع جانباً، في الوقت ذاته هٰذا اليوم خرج علينا وزير الخارجيَّة الأمريكي تيلرسون ليعلن بوضوح وصراحة قائلاً: «لقد بات واضحاً أنَّ حكم آل الأسد يقترب من نهايته».

ماذا يعني ذٰلكَ؟

هل يعني اقتراب حكم آل الأسد علىٰ نهايته أنَّ أمريكا هي التي ستنهيه أو أنَّ أمريكا تسعى أو تريد أو ترغب في إنهائه؟ علىٰ الإطلاق، لا يحمل أبداً أي رغبة أو نيَّة أمريكيَّة في سقوط آل الأسد أو إسقاطه ولا بحال من الأحوال. فمن أين للأغبياء علم أنَّ أمريكا تريد ذٰلكَ أو ترغب فيه؟ كم مرة كرر أوباما أن الأسد يجب أن يرحل، رحيل الأسد قريب، انتهىٰ الأسد، فقد شرعيته... في حين أنَّ السياسة الأمريكيَّة كانت قائمة علىٰ محاربة أعدائه ومنعهم من الدِّفاع عن أنفسهم والتحكُّم بهم لمنعهم من التَّقدم باتجاه أيِّ منطقةٍ حساسة تربك النِّظام؟

أكرر هنا ما قلته في بداية الثَّورة عندما رأيت ترقب السُّوريين تدخلاً أمريكيًّا علىٰ غرار مصر أو ليبيا، لم أصدم بهٰذا الترقب ولٰكنِّي لما كنت أدركه قلت في الأسابيع الأولىٰ من الثَّورة، وكررت ذٰلكَ مراراً علىٰ مختلف وسائل الإعلان والتواصل: «أمريكا لن تتدخل أبداً إلا في اللحظة الأخيرة، عندما ترىٰ أنَّهُ لا مجال أبداً أبداً أبداً لبقاء النِّظام، أو لا مجال أبداً لبقاء الثَّورة».

ومع ذٰلكَ كله، أتساءل ما يسألني عنه الكثيرون: يعني ألا توجد بارقة أمل في تدخل أمريكي لإنهاء مأساتنا؟

الحقيقة أنَّ هٰذا السؤال الناجم عن ألم لا محدود، أو غباء لا محدود، سؤال جاهل لا يدرك بواطن الأمور ولا حقائقها، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ القرائن والأدلة كثيرة. علىٰ افتراض أنَّ أمريكا قررت التدخل لإسقاط الأسد، وهٰذا في نظري مستحيل، فإنَّ وقوع هٰذا المستحيل لن يكون أن بالمجان، ولن تكون سوريا بعد إسقاط الأسد أحسن أبداً مما ستكون عليه بعد إسقاط الأسد باليد الأمريكيَّة.

أقول لكل الأغبياء الذين يقولون علىٰ جهل وسطحيَّة: نرحب بالشَّيطان للتَّخلُّص من الأسد، وبعضهم لا يمانع من الترحيب بضربة أمريكيَّة أو إسرائيليَّة لإسقاط الأسد، أقول لهم: المسألة ليست كما تتخيلون أبداً، لا تحلموا بتدخل أمريكي يأتي لكم بحال أفضل ولا أقل سوءاً بألف مرة... وستلعنون السَّاعة التي رحبتم فيها بالتَّدخل الأمريكي إلا إذا كنتم خونة، أما الغباء فلا يكفي، فإن كنت غبيًّا فلا تتدخل فيما لا تفهم، وإلا عليك أن تتحمل نتيجة تدخلك فيما لا يعنيك.

تحدَّثت منذ سنوات عن المطالب الأمريكيَّة لإسقاط الأسد علىٰ قنوات تلفزيونيَّة وفي مقالاتٍ وتعليقاتٍ كثيرةٍ، لا أكرِّرها هنا. وهٰذا المطالب والرَّغبات لم ولن تتغير.

ولذٰلك حريٌّ بنا جميعاً أن نكون يداً واحدةً في رفض التَّدخُّل الأمريكي، ومحاربة التَّدخل الأمريكي، ومحاربة من يرحب بالتدخل الأمريكي أو يطلبه أو

حَتَّىٰ ينتظر التَّدخُّل الأمريكي. وفي الوقت ذاته محاربة اللصوص الذين خربوا الثَّورة ودمروها من أجل الدعم الأمريكي وفي انتظار الدَّعم الأمريكي.

فما العمل إذن؟

اقلعوا شوككم بأيدكم. لا أحد يساعدكم من دون ثمن. ولا تسألوني كيف فالفطرة لا يمكن تعليمها، والمنطق لا يمكن تعليمه، والبداهات لا تشرح. والسَّلام.

وأختم مضيفاً هنا بعد نشر هٰذا المقال بساعات عقد وزير الدِّفاع الأمريكي ماتيس مؤتمراً صحافيًّا مطولاً كانت خلاصته تأكيده بأنه لا تغيير في الاستراتيجيا الأمريكية ولا الأولويات الأمريكيَّة. فماذا يعني ذٰلكَ؟ وبعده بقليلٍ فقط عاد تيلرسون وزير الخارجية للظهور بتصريح سابق لزيارته موسكو وقال: نحن «نسعى في جنيف ليقرر السوريون مستقبلهم»، وهٰذا المطلب هو مطلب الأسد والنظام السوري الذي يكرره منذ بداية الثورة. وأضاف تيلرسون: «ونأمل أن لا يكون الأسد فيه». نأمل... فماذا يعني ذٰلكَ؟

تركيا في ١١/ ٤/ ٢٠١٧م



*



الفصل الرابع

أين وصلت
الفورة الترامبية؟



كتبت في يوم الفورة والضَّربة الترامبيَّة مقالاً بعنوان: لا تفرحوا بالتصعيد الأمريكي. وقلت لا تتوقعوا من ترامب أكثر مما كان من أوباما. وما كنت أتمنَّى أن أكون مخطئاً في توقعي ولم أكن أضع أدنى احتمال بإخفاق توقعي. ولٰكنَّ المحللين السِّياسيين علىٰ مستوى العالم وخاصة العربي وخاصة منهم المهتمين بالشأن السُّوري ينفخون طبول الحرب ويتوقعون استمرار الهجمات الأمريكيَّة علىٰ النِّظام السُّوري، ويرجحون ذٰلكَ ترجيحات من كل الألوان.

ماذا حدث؟

وماذا يمكن أن يكون؟

لم يتوقف المحللون عن توقعهم بأنَّ ترامب قد حسم موقفه من بشار الأسد وأنه قرر الخلاص منه، وهٰذا ما لم يكن وما لن يكون. لن أتحدث عن الخطة الترامبيَّة التوافقيَّة مع روسيا للوضع في سوريا التي طرحتها أمريكا قبل عدة أيام، وهي لا تنطوي أبداً علىٰ أي مساس بالأسد والنِّظام السُّوري علىٰ الرَّغْمِ من وجود بعض الإشارات التي يتوهمها المحللون صريحة تجاه الأسد والنِّظام السُّوري.

عقب الضَّربة الكيماوي تساءلت قائلاً: إذا كانوا في الضَّربة الكيماويَّة الكبرى عام ٢٠١٣م قد عاقبوا السلاح وتركوا القاتل فماذا سيفعلون اليوم؟

تساؤل ساخر طرحته لأني ما كنت أتوقَّع إلا عقوبة من ذٰلكَ النَّوع ذاته قبل ثلاث سنوات، وهٰذا ما كان فعلاً. اليوم ٢٤/ ٤/ ٢٠١٧م قررت وزارة الخزانة الأمريكيَّة معاقبة ٢٧١ موظفاً هم كل العاملين في المركز السُّوري للدِّراسات والبحوث ما بَيْنَ سائق ومخبري وصبَّاب شاي وحارس وبوَّاب... عقاباً للأسد علىٰ استخدام السِّلاح الكيماوي كما قال بيان وزارة الخزانة الأمريكيَّة، الذي أضاف قائلاً: «إنَّ الإدارة الأمريكيَّة لن تتسامح مع استخدام الكيماوي مرة أُخْرَىٰ من قبل نظام الأسد».

تقف المفردات عاجزةً أمام النباهة الأمريكيَّة وتتحطم قدرات اللغات. لا أدري بماذا ولا كيف أصف هٰذه العقوبات الأمريكيَّة. علىٰ الأقل كان في سحب السِّلاح الكيماوي علىٰ يد أوباما شيء من الوجاهة، أما معاقبة موظفي المركز الذين لا حيلة لهم ولا أي دخل لأكثرهم في السلاح الكيماوي وأكثرهم من النَّاس البسطاء الذين لا يميزون بَيْنَ الطيخ والبطيخ فهٰذا سلوك تضحك السرياليَّة من كوميديته.

وفي هٰذا اليوم ذاته تكتمل دائرة الكوميديا السِّرياليَّة الأمريكيَّة بترامب ذاته، ترامب ذاته الذي قصف مطار الشُّعيرات غير آبهٍ بالشَّرعيَّة الدوليَّة ولا منتظراً رأيها ولا موقفها ولا فكَّر حَتَّىٰ في مشاورتها... صرَّح اليوم قائلاً: «لقد فشل مجلس الأمن في ردِّ فعلٍ علىٰ استخدام الأسد السلاح الكيماوي». وكأنَّ أمريكا لا تفعل شيئاً إلا بإذن من الشَّرعيَّة الدوليَّة وتفويض من مجلس الأمن

الدولي... وكأنَّ أمريكا لا تقصف العراق واليمن وليبيا وأفغانستان والباكستان والصومال إلا بعد صلاة استخارة ومئتي ركعة تهجد وقنوت وموافقة مجلس الأمن الدولي.

أكرر ما بدأت به منذ بدايات الثَّورة أنا لا أرجو ولا أريد ولا أرغب ولا أقبل أي تدخل أمريكي ولا يسعدني ذٰلكَ ولا يشرفني أبداً. ولا أقول ما أقول عتباً علىٰ أمريكا ولا استدعاء لها وإنما أقول ذٰلكَ لأمريين، هنا، أولهما فضح الأغبياء الذين علىٰ الرَّغْمِ من كل الوضوح والتوضيح في الموقف الأمريكي ما زالوا يتوسمون تدخلاً أمريكيًّا لإنقاذ السُّوريين من النَّار التي تحرقهم، وثانيهما الكشف عن التناقضات الأمريكيَّة مع ذاتها، ومحاولتهم إظهار أنفسهم علىٰ أنهم رسل سلام ومحبة وحماية الإنسان والإنسانيَّة فيما هم في حقيقة الأمر شياطين بل الشياطين تتعلم منهم الشيطنة.

علىٰ افتراض أنَّ ترامب يريد أن يسقط الأسد فإنَّ مركز صناعة القرار الأمريكي سيقول له: قف، اسكت، ارجع إلىٰ الوراء. أمريكا ليست الرئيس علىٰ ما للرئيس من صلاحيات، ولذٰلك فإنَّ موقف أوباما من الثَّورة السُّوريَّة والنِّظام السُّوري ليس موقف الشخص أو ا لرئيس أوباماً وإنما هو موقف مركز صناعة القرار الأمريكي... وهٰذا ما لم يتغير ولن يتغير لأسباب يدركها من يدركها.

أقول علىٰ افتراض أن ترامب يريد، والسؤال هل يريد ترامب فعلاً إسقاط الأسد ومناصرة الثَّورة؟

يخلط كثيرون بَيْنَ إسقاط الأسد ومناصرة ويرون إسقاط الأسد مناصرة للثورة وهٰذا غباء مستفحل متأصل. فعلىٰ افتراض رغبة ترامب في إسقاط الأسد

واضطراره إلىٰ ذٰلكَ لسبب أو لآخر فإنَّ هٰذا لا يعني أبداً مناصرة الثَّورة السُّوريَّة ولا بحالٍ من الأحوال، وهو ما لن يكون في إطار التصورات الأمريكيَّة، وقد أبنت تفاصيل ذٰلكَ في كتاب مستقل مطول هو العدوان الأمريكي علىٰ سوريا.

ومع ذٰلكَ أتساءل: هل يريد ترامب إسقاط الأسد أو النِّظام السُّوري؟

لا أدري لماذا يصل الأمر بضعف الذاكرة إلىٰ هٰذا الحد المريب. ألم يكن شعار ترامب في حملته الانتخابيَّة هو التحالف مع بشار الأسد في محاربة الإرهاب الإسلامي؟ وأن بشار الأسد يمكن أن يكون حليفاً استراتيجيًّا في محاربة الإرهاب؟

لم يكن هٰذا شعاراً انتحابيًّا علىٰ أي حال، هٰذا موقف ترامب منذ أيام الضَّربة الكيماويَّة الكبرى في غوطتي دمشق الغربيَّة والشرقيَّة عام ٢٠١٣م. فمنذ ذٰلكَ الحين راعه ظنه أنَّ أوباما سيوجه ضربة للنظام السُّوري فتوجه برسالة إلىٰ الرئيس أوبماما يطلب منه التريث والعدول عن ضرب النِّظام السُّوري لما يمثله ذٰلكَ من خطأ.

علىٰ أي حال، كانت ضربة مطار الشعيرات تشير بوضوح إلىٰ أنَّها ليست ضربة ولا تهديداً ولا تغيراً في الموقف الأمريكي، وكان من الغباء الظن أنَّها ردة فعل أو أنَّها لحظة غضب ترامبيَّة، كتبت في ذٰلكَ اليوم تعليقاً: «أشد ما أخشى أن نكتشف أنَّ استخدام الكيماوي كان بناء علىٰ طلب أمريكي». وأنا أعني ذٰلكَ تماماً. بالنظر إلىٰ فترة استخدام الكيماوي محطيطاتها كلها من مختلف الأنواع لا يوجد أي دافع للأسد لاستخدام الكيماوي ولا ضرورة أبداً، ولٰكنَّ الضَّربة الأمريكيَّة والتحرك الأمريكي الذي شغل العالم وأربكه كان ضرورة

أمريكيَّة عامة وضرورة ترامبيَّة خاصة. ترامب وأمريكا بحاجة إلىٰ مبرر لمثل هٰذه الضَّربة، فأمريكا وترامب في أزمة انسداد آفاق واستغلاقات، وأزمات مختلفة، كان لا بُدَّ لها من مثل هٰذه الضَّربة لحرف الأنظار وتوجيهها بعيداً من أجل البدء بمشاريع جديدة. وكان ما أراده ترامب والإدارة الأمريكيَّة علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ الضَّربة كانت تمثيليَّة واضحة صريحة استثمرها النِّظام ذاته بالظهور علىٰ أنَّهُ تحدى أمريكا وكسر أنفها إذ اقلعت الطائرات في اليوم التَّالي من المطار ذاته وتابعت عملياتها وكأن شيئاً لم يكن.

كيف يمكن أن نفسِّر سكوت أمريكا علىٰ تحدِّي الأسد لها بإقلاع الطَّائرات من المطار ذاته وتنفيذ عمليات عسكريَّة ومنها إلقاء أسلحة كيماويَّة مخفَّفة علىٰ مناطق أُخْرَىٰ؟ إذا كان استخدام الكيماوي استخفافاً بالشَّرعيَّة الدوليَّة فإنَّ إقلاع الطائرات من المطار الذي استهدفته أمريكا هو إهانة لأمريكا واستخفاف بها.

لم تفعل أمريكا شيئاً لرد اعتبارها، ولم تشر إلىٰ الموضوع في إعلامها أصلاً لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ. هل يعقل أنَّها لم تدر ما حصل؟

هي تعرف وتعرف جيِّداً، وتعرف أنَّ ما فعلته ليس إلا تمثيلاً وخداعاً وتضليلاً بالتَّوافق والتَّنسيق مع نظام الأسد، وإلا لما تجرأ الأسد علىٰ إقلاع طائراته من المطار ذاته في اليوم التالي من الضربة.

وعلىٰ هٰذه الأسس والمقاييس بدأت تخبو التَّصريحات الأمريكيَّة شيئاً فشيئاً، بعد أن حقَّقت مرادها، وانتهت اليوم إلىٰ صدور قرار بمعاقبة الناس التي تمر بالقرب من مركز دراسات علميَّة سوري، رُبَّما لا علاقة له بالسلاح

الكيماوي لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ. وبقي معمل تصنيع الكيماوي بعيداً عن الشبهات.

وحَتَّىٰ لا نصدق الإنسانية والمنطقية الأمريكية القذرة دائماً يكرر المسؤولون والسياسيون الأمريكيون جميعاً: «هل تريدون أن نقاتل عنكم»، «هل تريدون أن نخوض الحرب عنكم»، «هل تريدون أن نغامر بأبنائنا من أجلكم»... ومثل هٰذا التعليك الصدئ الكاذب يوجد الكثير.

فقط في سوريا قالوا ويقولون هٰذا الكلام. لم يقولوه . في هٰذه الأيام فقط . في العراق ولا في ليبيا ولا في اليمن ولا في الصومال... فقط في سوريا يقولون هٰذا الكلام. ولا أعود إِلىٰ تاريخ الاعتداءات الأمريكية الذي لا ينتهي.

أساساً غير الحمقى لم يطلب أو ينتظر أحد أيَّ مساعدة من أمريكا... وكان الحمقى كثيرون جدًّا. ولم يدرك منهم أحد حقيقة أنَّ أمريكا تتجاوز عدم مساعدة الثورة إِلىٰ محاربة الثورة ومشاركة النظام بالتمام.

تركيا في ٢٤/ ٤/ ٢٠١٧م



*

الفصل الخامس

فن الإدهاش
في الكذب الأمريكي



الكـذب الأمريكـي لا حـدود لـه. بعـض السياسـيين يسـوِّغ كـذب الـدول. وهٰـذا بـاب واسـع مـن الكـلام لا شـأن لنـا فيـه هنـا. أعـني مـن الممكـن أن تكـذب الـدول في الإعـلام لسـبب أو لآخـر. وأتجـاوز ذٰلـكَ إلىٰ أنَّـهُ مـن الممكـن أن تكـذب الـدول علـىٰ دول أُخْـرَىٰ ولٰكـن في أمـور محـدودة واضـطرارية. ومـا خـلا ذٰلكَ لا مجال له.

لـن نـدخل في مسـألة التمييـز بَـيْنَ الكـذب والخـداع والتَّضـليل في إطـار العلاقات بَيْنَ الأعداء في حالات الحروب علىٰ نحو خاص. نحن نتحدث عن الكـذب، الكـذب بمعنـاه القمـيء، البشـع، الـذي يفضـح صـاحبه إذا انكشـف ويضعه في موقف وموقع وموضع حرج.

لا يوجد ما يسوِّغ الكذب الصَّريح في حال من الأحوال، ولا بأس من تفهم أو حَتَّىٰ قبول الخداع والتَّضليل واللف والدوران، أمَّا الكذب فلا مسوغ له في العلاقات الدوليَّة، أو بَيْنَ الدُّول بحالٍ من الأحوال. هٰذه ليست مثاليَّة كما يزعم بعضٌ أو سيزعم. هٰذه هي الواقعيَّة عينها. يمكن أن نتفهَّم مختلف أنواع الكذب التي تمارسها الدولة ولٰكنَّ ما يمكن تقبله تحت سقف من السقوف شيءٌ وما تمارسه الولايات المتحدة شيء آخر.

أكرِّر: الكذب الأمريكي لا حدود له أبداً. يمكن أن تكذب دولة لتشن حرباً وهٰذا شائع جدًّا في التَّاريخ، ولٰكنَّ الكذب كله لمثل هٰذا الشَّأن يقبل التأويل والتَّحوير والتَّدوير، فماذا كانت كذبة الولايات المتحدة لاحتلال العراق وإسقاط نظام الحكم؟

علىٰ أيِّ حال، لا أطيل في تاريخ الكذب الأمريكي لسببين أولهما أنِّي تتبَّعت بعضاً غير قليلٍ من ذٰلكَ في عدد من الكتب، وثانيهما أنَّ تتبع الكذب الأمريكي أمرٌ مربكٌ بطوله وعجائبياته. أريد أن أقف هنا عند اللحظة الرَّاهنة، بل عند مشهد من مشاهد اللحظة الراهنة لأنَّ اللحظة الرَّاهنة، الظَّرف الرَّاهن، فيه من الكذب الأمريكي ما يسدُّ عين الشَّمس.

المشهد الذي أودُّ الوقوف عنده هو التَّناقضات الأمريكيَّة وما رافقها ويرافقها من كذب في إطار دعم وحدات حماية الشَّعب الكرديَّة في سوريا، ودعم تركيا.

تركيا شريك وأكبر شريك لأمريكا في حلف الناتو من ناحية القوَّة والحجم والإسهام المالي بعد الولايات المتحدة ذاتها. ووحدات حماية الشَّعب الكرديَّة في خلاصة الأمر هي ميليشيات بالمئات التي لا تزيد عن بضع آلاف أقل من أصابع اليد الواحدة.

بغضِّ النَّظر عن حقيقة الأمر، ولٰكن نظريًّا وقانونيًّا وعرفيًّا وتشريعيًّا ودستوريًّا للدولتين أمريكا وتركيا، فإنَّ تركيا ليست دولة صديقة للولايات المتحدة الأمريكيَّة وحسب وإنَّمَا هي حليف استراتيجي وشريك أساسي، بل إنَّ تركيا ثاني أقوى وأكبر شريك لأمريكا علىٰ المستويين العسكري والاقتصادي في حلف

الناتو، وثاني أكبر ممول للناتو... وفي الوقت ذاته في فإنَّ ما يسمَّى وحدات حماية الشعب الكردية ما هي إلا ميليشيات في أقصى تعدادها لا تزيد عن خمسة آلاف شخص سأفترض أَنَّهُم جميعهم منتسبون إلىٰ هٰذه الميليشيات بإرادتهم وإيمانهم، ولن أتحدث عن المرتزقة من إسرائيل وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأمريكا وغيرهم الذين يقاتلون مع وحدات حماية الشَّعب الكرديَّة، ولا أحد من المتابعين يجهل هٰذه الحقيقة التي تداولتها مختلف وسائل الإعلام من سنتين إلىٰ اليوم.

في ظل هٰذين الميزانين نجد أمريكا تغامر بتركيا وبكل مصالحها مع تركيا مقابل الوقوف مع الميليشيات الكردية. وهٰذا خيار في نهاية الأمر، ولٰكنَّ المضحك المبكي، الهزلي إلىٰ أبعد الحدود أنَّ أمريكا تريد أن تقنع تركيا بأنها تدعم هٰذه الميليشيات المعادية لتركيا من أجل مصلحة تركيا، وعلىٰ الرَّغْمِ من أنَّ أمريكا ذاتها تصنف هٰذه الميليشيات بأنه جماعة إرهابية فإنها تدعمها وتساندها وتسلحها علناً وتريد من تركيا أن تسير تحت أمرة هٰذه الميليشيات!!!

هٰذه ليست وقاحة بلا حدود، الوقاحة منتهىٰ الأدب والحياء أمام هٰذا السلوك المدهش.

الأمر لا يتوقف هنا. كل يوم ويومين تتصل أمريكا بتركيا لتعطيها تطمينات بأنَّهَا شريكها وحليفها، وفي الوقت ذاته قبل التواصل أو بعده تعلن عن تقديم الدعم العسكري واللوجستي للميليشيات الكردية المعادية لتركيا!

تركيا تواصل احتجاجاتها لأنَّ السياسة الأمريكيَّة ليست غير مطمئنة وحسب بل وقحة وقاحة سافرة. فماذا يقول الأمريكان؟

كـرَّر السَّاسـة والمحللـون السِّياسـيون الأمريكـان كثـيراً منـذ سـنتين إلىٰ الآن ثقتهم في قدرات وحدات حماية الشَّعب الكرديَّة وكفاءاتهم القتاليَّة، وهـم صدقوا هٰذا التقريظ، متجاهلين الغطاء الجوي لعملياتهم القتالية الذي تقدمه ستين دولة، والذي لو كان فوق أربعة مقاتلين لاحتلوا آلاف المدن بأيام.

هٰـذه الثقـة ذاتها كذبـة وخدعـة لا أسـاس لها مـن الصـحة ولٰكـن أن تقـال وتعلن بهٰذه الطريقة فهٰذه وقاحة وسفاهة لا حدود لها، فهـم يقولون إنَّ وحدات حماية الشعب تفوق بقدرتها وكفاءتها الجيش التركي الذي يستطيع سحقها كاملة خلال ساعتين، وهٰذا إهانة لدولة إقليمية كبرىٰ ولها مكانتها علىٰ الصَّعيد العالمي كله لا المنطقة وحسب. وفي الوقت ذاته يريدون إقناع تركيا بهٰذه الخدعة.

لا يتوقَّـف الأمـر هنـا بـل يتجـاوزه إلىٰ أكثـر مـن ذٰلـكَ عنـدما تتصـل التَّطمينات بأنَّ الأكراد سيحررون الرقة ويسلمونها للعرب السوريين. وكأن الأكراد مرتزقة من شيكاغو سيقومون بعمليَّاتهم العسكريَّة ويقدِّمون التَّضحيات والأرواح والـدماء ويحرِّرن الرَّقـة ويتركونهـا لأهلهـا ويعـودون إلىٰ شـيكاغو، في الوقـت الـذي رأينـا جميعـاً مـا فعلـوه ويفعلونـه في المـدن العربيَّـة السـوريَّة الـتي يحتلونهـا مـن تهجـير وتشـريد لأهلهـا نـاهيكم عـن جـرائم الحـرب الـتي يرتكبونهـا بحقهـم... وكلهـا تمَّ التعتيم عليهـا مثلمـا يتمُّ التعتيم علىٰ جـرائم تفوقهـا وحشـية بملايـين المـرات في العراق وسوريا ارتكبتها وترتكبها الميليشيات الشيعية العراقيَّة والإيرانيَّة والمجتلبة من أفغانستان والباكستان وغيرها.

وأضـيف أيضـاً، الأمـر لا يتوقـف هنـا. بـاعتراف النِّظـام علىٰ لسـان وزيـر خارجيتـه وبـاعتراف هٰـذه الميليشـيات الكرديـة وسـلوكها الصَّـريح الـذي لا يقبـل

الشَّكَّ بأنَّهَا تعمل لصالح النِّظام السُّوري، وبزعم أمريكا أنَّها ضدَّ النِّظام السُّوري نجد أنَّ أمريكا تدعم هٰذه الميليشيات التي هي أحد أذرع النِّظام السُّوري. فكيف استقام لها ذٰلكَ؟

بل إنَّ كثيراً من التَّصريحات التي كتبنا عنها أو عن بعضها في حينها كشف عن أنَّ الولايات المتحدة قامت بتسليح الميليشيات الكرديَّة لأنَّهَا وافقت علىٰ أن تحارب داعش فقط ولا تحارب النظام فيما غير من التشكيلات العسكرية الثورية وافقت علىٰ محاربة داعش بشرط محاربة النِّظام أيضاً، ولذٰلك رفضت أمريكا تسليحها ومنعت السلاح عنها لأنَّهَا تريد أن تحارب النِّظام، ومع ذٰلكَ نجد أمريكا تبعبع ليل نهار متَّهمةً روسيا بدعم الأسد ونظام الأسد.

الكلام في ذٰلكَ كثير وكثير وطويل جدٌّ طويل وثخين أكثر مما تتخيلون. لا أطيل وإنما أختم بما كررته غير مرة: لم ننظر إلىٰ الأكراد إلا علىٰ أنَّهُم أهل، ولن ننظر إليهم إلا علىٰ أنَّهُم أهلنا وأخوتنا. ومثلما يوجد استثناءات بَيْنَ العرب في نظرتهم إلىٰ الكرد توجد بَيْنَ الكرد استثناءات. الاستثناءات لا تمثل الحقيقة. وستعود الأمور إلىٰ نصابها إن عاجلاً أو آجلاً.

تركيا في ٢١/ ٥/ ٢٠١٧م



*



الفصل السادس

لماذا تريد أمريكا تأسيس ناتو عربي؟


ترامب

ما إن اندلعت نيران ما سمي عاصفة الحزم في أواخر آذار/ مارس ٢٠١٥م حَتَّىٰ ارتفعت أصوات في الإدارة الأمريكيَّة وعَلىٰ رأسها الرئيس أوباما تعلن أن تشجع تشكيل ناتو عربي، وتسعى إِلىٰ تشكل هٰذا الحلف العسكري العربي.

كان الطرح في الحقيقة مفاجئاً مباغتاً عجيباً غريباً، خاصَّة وأَنَّهُ ليس مسبوقاً أبداً وحَتَّىٰ العرب أنفسهم لم يفكروا في مثل هٰذا الطرح، فكيف للولايات المتحدة الأمريكيَّة التي لا تقبل أي حضور عسكري أو قوة عسكريَّة للعرب أن تفكر فيمثل هٰذا الطرح للعرب؟

أيعقل لأنها إدارة أوباما وأوباما يمكن أن يريد الخير للعرب؟!

الحقيقة عندي أنَّ أوباما رئيس بلا صلاحيات، لا يمكن أن يثق فيه مركز صناعة القرار بسبب أصوله المسلمة، وهٰذا الطرح طرح مراكز القوىٰ في السِّياسة الأمريكيَّة وليس رأي أوباما وصلاحيَّاته. والدَّليل عَلىٰ ذٰلك أنَّ هٰذا الموضوع الذي مات واندفن إثر طرحه في أواسط عام ٢٠١٥م أيام أوباما قد عاد للطرح بقوة من جديد هٰذه الأيام في إدارة ترامب ونحن الآن في أواسط عام ٢٠١٧م،

أي في أيَّام ترامب الذي يعلن ما يكن من حقد عَلىٰ الإسلام والمسلمين ولا يخجل ولا يستحي ولا يعرف أيَّ لباقة أو دبلوماسيَّة في ذٰلك.

دعك من الذي يهرفون بما لا يعرفون، ويخلطون الخل بالخردل، ولا يميزون بَيْنَ الشمع والعسل، ويأتونك من التَّحليلات ما يأنف منه الهبل... وتساءل بمنطق الواقع والحقيقة:

أيعقل أنَّ أمريكا رأس حربة محاربة العرب والإسلام تعمل عَلىٰ توحيد القوة العسكريَّة للعرب أو بعضهم في حلف عسكري وإنشاء قوة عسكريَّة عربيَّة مشتركة؟

أمر لا يمكن تصديقه ولا حَتَّىٰ في المنام.

بل إن العرب أنفسهم لم يفكروا في هٰذا الأمر عَبْرَ عشرات السِّنين المنصرمة خوفاً من ردة الفعل الأمريكيَّة، أو إرضاء لها.

إذن لماذا تريد الولايات المتحدة الأمريكيَّة إنشاء ناتو عربي؟

لا بُدَّ أنَّ في الأمر سرٌّ ورُبَّما أسرار. ولن يكون أيٌّ من هٰذه الأسرار في مصلحة العرب ولا المسلمين بحال من الأحوال. وكل من يظن ذٰلك فهو أحمق، ومن يعتقد ذٰلك بهيم والفهم منه سقيم.

لننظر إِلىٰ الموقف في سياقه التاريخي. ولا أعود إِلىٰ ما قبل الحدث ففيه تفاصيل كثيرة لا تخرج عن السياق بطبيعة الحال.

في صبيحة السادس والعشرين من آذار/ مارس ٢٠١٥م وثبت أمامنا أخبار مفاجئة وغير متوقعة تعلن عن بدء عمليات التحالف العربي الإسلامي في اليمن باسم عاصفة الحزم بهدف معلن هو تحرير اليمن من سيطرة الحوثيين الذين

انقلبوا عَلىٰ الشرعيَّة بتآمر من الرئيس المخلوع علي عبد الله الصالح وسيطرتهم عَلىٰ معظم شمالي اليمن خلال الأسابيع المنصرمة السَّابقة عَلىٰ ذٰلك، حَتَّىٰ أوشكوا يسيطرون عَلىٰ اليمن كله تقريباً.

من دون أي تمهيدات أو مشاورات سابقة معلنة أو غير معلنة اندلعت العمليات تحت غطاء اسمه التَّحالف العربي الإسلامي بقيادة السُّعوديَّة لتحرير اليمن من الحوثيين. كان استثناء تركيا من التَّحالف بالنِّسبة لي الفيصل القاطع بشيطانيَّة التَّحالف وأهدافه. حَتَّىٰ تركيا تفاجأت من اندلاع العمليَّات باسم تحالف إسلامي لم تدر عنه شيئاً، وكان هٰذا مؤشراً عَلىٰ خبث السعوديَّة قائدة العمليَّة والتحالف. ومؤشراً عَلىٰ أنَّ الأمور قد تمت بَيْنَ عشية وضحاها.

دعك من تركيا فليست هي المؤشر ولا الدَّليل، منذ تم الإعلان عن بدء العمليَّات وأهدافها نشرت تعليقات سمَّيتُ العمليَّة عاطفة الخرم بدل عاصفة الحزم كناية عن استهزائي بها وعدم تصديق أهدافها، وأعلنت أنَّهُ لا يمكن للسعوديَّة أن تحارب الحوثيين ولا أنَّهَا تريد تحرير اليمن منهم، وأنَّهَا دخلت هٰذه الحرب نصرة للحوثيين وتثبيتاً لهم في السُّلطة بطريقةٍ أو بأُخرىٰ.

لم تندلع العمليات إلا بعد تقديم التَّقارير الكاملة عن أهدافها وغاياتها إِلىٰ المخابرات الأمريكيَّة قبل أوباما. والسُّعوديَّة صادقة في تقاريرها للمخابرات الأمريكيَّة. وبمجرد معرفة أهداف التَّحالف الإسلامي بقيادة السُّعوديَّة أعلنت الولايات المتحدة الأمريكيَّة عن رغبتها في تعزيز هٰذا التَّحالف وتحويله إِلىٰ ناتو عربي، ناتو عربي وليس إسلامي.

الهدف الأول إذن من تأسيس الناتو العربي وقبل أي شيء صرف الأنظار عن أي تفكير في تحالفات عسكريَّة إسلاميَّة، فوجود تحالف عسكري عربي أو قوة عسكريَّة عربيَّة مشتركة سيكون يقيناً عاملاً مانعاً لقيام أي قوَّة عسكريَّة إسلاميَّة مشتركة.

ولٰكنَّ السُّؤال الذي سيبرز هنا الآن: ألا تخشى الولايات المتحدة الأمريكيَّة ومن ورائها الغرب من قيام قوة عسكريَّة عربيَّة موحدة أو مشتركة تحت اسم ناتو أو غيره؟

أيعقل أن تغامر مثل هٰذه المغامرة خوفاً من التَّفكير في إنشاء قوَّة إسلاميَّة مشتركة؟

قد يقول قائل بأنَّ هٰذا الإعلان جاء ردًّا سريعاً عَلىٰ قيام التحالف الإسلامي بقيادة السُّعوديَّة من أجل امتصاص الفكرة والفورة وأنَّهَا من ثَمَّ غير جادَّةٍ في ذٰلك في حقيقة الأمر.

هٰذا التَّفسير غير مقبولٍ في حقيقة الأمر. لأنَّ الفورة عَلىٰ حسب زعمهم قد انتهت وبردت في وقتها بهذا الإعلان، فلماذا أعادت وتعيد الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة مسألة تأسيس أو إنشاء ناتو عربي؟

إنَّ النَّوايا الأمريكيَّة بإنشاء النَّاتو العربيَّة نوايا جدِّيَّة تمام الجديَّة وليست محض فكرة ولا ردَّ فعلٍ فليست الولايات المتحدة من يرمي بالتَّصريحات جزافاً من غير حساب.

إنَّ هٰذا الطَّرح المتكرِّر لإنشاء الناتو العربي حَتَّىٰ الآن هو تمهيد العقول العربيَّة والإسلاميَّة لتقبله وتقبله ممثلاً شرعيًّا...

ومع ذٰلك لا يعني هٰذا حتميَّة إنشائه، فتكرار هٰذا الطَّرح الآن يهدف أيضاً إِلىٰ دراسة عقباته ونتائجه واحتمالاته ومخاطره... لتقرير إمكانيَّة نقله إِلىٰ حيز التطبيق أولا، أو تنفيذه لمرحلة أو هدفٍ محدَّد ثُمَّ القضاء عليه.

ومع ذٰلك أيضاً فمن المحتمل أن يكون هٰذا الطَّرح الآن نوعاً من أنواع تنويم الشعوب العربيَّة حلم إنشاء القوة العربيَّة المشتركة مثلما تم تنويمهم عشرات السنين السابقة عَلىٰ أحلام الوحدة... وكذلك غيرها من الأحلام التي رفعها السلاطين العرب بغية تنويم الشعوب وامتصاص فوراتها مثل العملة النَّقديَّة الموحدة والسُّوق الموحدة وهلم جرًّا.

هٰذه الاحتمالات أساسيَّة وحقيقيَّة، ولٰكنَّ الذي يجعلنا نقصي عدم الرَّغبة في إنشاء التَّحالف أنَّ الأحلام التي يتم بها تنويم الشعب العربي تطلقها الأنظمة العربيَّة ويرفعها سلاطين العرب. سلاطين العرب يقيناً عندي ومنذ عشرات السنين أَنَّهُم كله وكلاء المخابرات الإسرائيليَّة والغربيَّة لتنويم الشعب العرب ومصادرة أحلامه وحرمانه من النهوض تحت أي ظرف من الظروف، وقد أشرت وكتبت مراراً عن سياساتهم الكثير في هٰذا الإطار من تهجير الكفاءات المبدعة من الوطن لحرمان الوطن منهم، ومحاربة الإبداع الحقيقي، وتدمير مؤسسات الدولة... وهلم جرًّا.

ليس السلاطين العرب من طرح إنشاء الناتو العربي وإنما الولايات المتحدة الأمريكيَّة شخصيًّا وعَلىٰ لسان كبار مسؤوليها منذ عام ٢٠١٥م إِلىٰ هٰذا اليوم، عَلىٰ فترتي رئيسين هما أوباما وترامب. ويوجد في التَّصريحات ما يوحي بجديَّة في الموضوع وليس مسألة مزاج طارئ ولا ظرفي.

هٰذا يعني أحد أمرين رُبَّما لا ثالث لهما ما خلا الهدف أو الأهداف التي لن تكون خارج السياق بطبيعة الحال.

أولهما أنَّ الثِّقة الأمريكيَّة الإسرائيليَّة في السَّلاطين العرب وخاصَّة سلاطين الخليج وخاصة منهم السُّعوديَّة قد وصلت مداها ولا ثقة بعدها تتعدها، فبات من الممكن السَّماح لهم بتشكيل قوَّة عسكريَّة مشتركة لأنهم لن ولن يفعلوا ما ليس يرضى أمريكا وإسرائيل وعموم الغرب. وهٰذا الاحتمال في حقيقة الأمر ضعيف جدٌّ ضعيف لأنَّ ثقة الغرب في سلاطين العرب منقطعة النظير منذ توليتهم السُّلطة بالرعاية البريطانيَّة أو الأمريكيَّة قبل عشرات السنين، وهم بدورهم كانوا مخلصين أشد الإخلاص، من ثمَّ فلا جديد في هٰذا الشأن.

ثانيهما أنَّ الظُّروف ذاتها هي التي بلغت مداها وآن الأوان لتشكيل هٰذه القوة العسكريَّة العربيَّة المشتركة للقيام بواجباتها التي تنتظرها في ظلِّ هٰذه الظروف التي بلغت منتهاها، ولا تنفصل الرغبة الأمريكيَّة في إنشاء الناتو العربي عن الثقة المطلقة في الحكام العرب؛ الثِّقة المطلقة غير المنقوصة أبداً، لأَنَّهُ لا يمكن أبداً أبداً أن تغامر أمريكا بهذه الخطوة وفيها احتمال خلل أقل من واحد بالألف.

ويبقى السُّؤال في كلِّ حالٍ قائماً: لماذا تريد الولايات المتحدة الأمريكيَّة إنشاء ناتو عربي؟

هٰذا يعني بالضرورة المنقطعة النظير أن الأنظمة العربي وخاصَّة الخليجيَّة منها عَلىٰ وشك إعلان جبهاتها القتاليَّة الحقيقيَّة، الحقيقيَّة وليست الجديدة بحال من الأحوال.

منذ نشأ النظام العربي وسلاطينه عقب ما يسمى الاستقلال لم تكن إسرائيل عدوًّا لهم بل كانوا الخدم الأوفياء لها الحريصين عليها أكثر من حرص اليهود عليها. ولذلك لا يمكن أن تكون إسرائيل هي عدو الأنظمة العربيَّة وخاصة منها الخليجيَّة. ولو أنَّ لدى الولايات المتحدة الأمريكيَّة ذرة بل أقل من ذرة شكٍّ في أنَّ هٰذه الأنظمة ستوجه قوتها العسكريَّة تجاه إسرائيل لما فتحت محض فكرة قوة عسكريَّة عربيَّة مشتركة لا باسم ناتو ولا باسم نانو ولا باسم نامو... ومن ثمَّ فمن المحال القول بأنَّ من أهداف النَّاتو العربي أي أذى لإسرائيل، بل دعوني أقل إنَّ رأس أهداف الناتو العربي هٰذا هو الانتقال من حماية إسرائيل سرًّا إِلىٰ حمايتها بالعلن.

يرى الواهمون الذين يصرون عَلىٰ عدم الفهم أنَّ الهدف من هٰذا الناتو هو إيران. إيران عدو للمسلمين والعرب أمر متفق عليه ولا خلاف فيه، ولٰكن من قال إنَّ سلاطين العرب يكرهون إيران أو يريدون إلحاق الأذى بها؟! وأيضاً أقول: من قال إنَّ أمريكا ستسمح للعرب بإلحاق الأذى بإيران؟

إيران وإسرائيل وجهان لعملة واحدة، بل رأسان لجسد واحد. من يحمي إسرائيل يحمي إيران والعكس صحيح. ومن ثُمَّ فإنَّ كل هٰذه الجعجعة من السلاطين العرب وأبواقهم وزبابهم الإلكترونيَّة ليست إلا لحرف الأنظار وامتصاص نقمة الشعوب عَلىٰ إيران وتنويمهم عن جرائمها بأن القصاص قادم، وأَنَّهُم يعدون العدَّة للقصاص من إيران. وكل ذٰلك وهم وكذب وخداع وتضليل والأدلة عَلىٰ ذٰلك جدُّ كثيرة يعرفها المتابعون، ومن لا يريد أن يتابع فلا يتنطعن للاعتراض ولا للتنظير.

إذن من هو العدو الذي سيتم إنشاء الناتو لمواجهته؟

من غير المعقول أن يكون الصِّين أو روسيا أو أوروبا أو أي دولة إفريقيَّة. هنا في حقيقة الأمر تعود إلينا من جديد فكرة أنَّ الأنظمة العربيَّة عَلَىٰ وشك إعلان عدوها الحقيقي. والحقيقة أننا تجاوزنا مرحلة البوادر والتمهيدات إِلىٰ الممارسة الفعليَّة الجديَّة في هٰذا الشأن. فتدريجيًّا يتم سحب فكرة أنَّ إسرائيل هي عدو الأنظمة العربيَّة. بل وصل ذٰلك إِلىٰ العلن والوضوح من خلال قنوات مختلفة لم تصل إِلىٰ أفواه رؤوس الأنظمة العربيَّة وخاصَّة الخليجيَّة منها التي هي أسُّ الخيانة ورأس الحربة فيها. ولٰكن لم تزل إيران هي الفزاعة والبعبع والواجهة إِلىٰ الآن مع انكشاف حقائق كثيرة تقطع بأنَّ الأنظمة العربيَّة تدعم إيران والشيعة ولا يمكن أن تكون الأنظمة العربيَّة معادية لإيران ولا الشيعة. وقريباً قريباً ستجدون إعلان هٰذه الأنظمة ندمها عن الظن في إيران بعد اكتشاف العدو الحقيقي.

فمن هو العدو الحقيقي؟

العدو الحقيقي للأنظمة العربيَّة منذ تأسيسها هو الشعوب العربيَّة والمسلمة، ومهمتهم الأساسيَّة هي منع تلاقي هٰذه الشعوب، ومنع وحدتها، ومنع نهوضها، ومنعها من إمساك زمام السلطة بأي طريقة ديمقراطيَّة. وسأعود إِلىٰ ذٰلك بعد قليل.

ومن هٰذا الباب عندما تحولت تركيا إِلىٰ سلطة فيها نفس إسلامي صارت تركيا عدواً لهٰذه الأنظمة، وبطبيعة الحال هي هدف الغرب جملة وتفصيلاً وعَلَىٰ رأسه أمريكا إسرائيل، وبات من الواضح أنَّ أعداء

إسرائيل وأمريكا هم أعداء الأنظمة العربيَّة وعَلىٰ رأسهم دول الخليج وعَلىٰ رأس رأسهم السُّعوديَّة.

إذن الناتو العربي الذي تعتزم الولايات المتحدة الأمريكيَّة إنشاءه له عدو واضح هو تركيا والشعوب العربيَّة.

أمَّا في شأن محاربة تركيا فالأمور جارية عَلىٰ قدم وساق منذ عام ٢٠٠٧م تقريبا أي منذ بدا تمكن العدالة والتَّنمية من السُّلطة في تركيا فكانت محاولة الانقلاب الأولى في عام ٢٠٠٨م وهلمَّ جرًّا إِلىٰ محاولات جرِّ تركيا إِلىٰ معارك مفتوحة في سوريا مع تنظيم الدولة ومع الأكراد... وكان لنا في ذٰلك كثير من الكلام والمقالات لا نكرر ما قلناه.

ولٰكن لماذا الشعوب من جديد؟

من جهة أولى فإنَّ أمر الشُّعوب لا ينتهي وهٰذه مسألة طويلة. ولٰكنَّ ثَمَّةَ الجديد الذي وإن كان في رؤوس المسلمين وأفكارهم إلا أَنَّهُ ليس تفكيرهم ولا اعتباراتهم ولا تقديراتهم. ألا هو المعركة الكبرى، الملحمة الكبرى التي يقتنع بها الغرب اقتناعاً تامًّا ويوليها كل الاعتبارات والتخطيط، بَيْنَما المسلمون لا يولونها أي اعتبار وأكثرهم يراها لغوا لا يستحق الوقوف عنده.

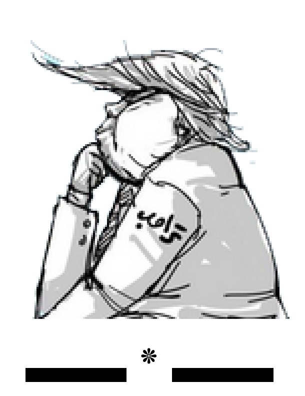
الغرب منذ ثلاثين سنة عَلىٰ الأقل وهو يتحضر معرفيًّا ونفسيًّا وعسكريا للملحمة الكبرى في مرج دابق التي يسميها معركة هرمجدون. وكل من يعيش في الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكيَّة يعرف مَدَىٰ التحشيد الثقافي والمعرفي والاستعداد لهٰذه المعركة. ويرى اللاهوتيون اليهود والنصارى أنَّ معركة مرج دابق أي الملحمة الكبرى قد اقتربت واقتربت كثيراً وهي ما بَيْنَ عشيَّة وضحاها، ولهذا

الأمـر تريـد الولايـات المتحـدة الأمريكيَّـة وإسـرائيل أن تجهـز النـاتو العـربي. أي لمواجهة الشعوب العربيَّة التي هي جنود الملحمة الكبرى ومعم تركيا التي يبدو أنها ستكون في صف المسلمين.

وهٰذا ما يحيي لنا تاريخنا القديم قبل الإسلام عندما كان العرب جنود الفرس وجنود الروم يكون دائماً في مقدمات حروبهم ضحية لانتصاراتهم وهزائمهم.

صدق أو لا تصدق.

تركيا في ٢١/ ٥/ ٢٠١٧م



*

الفصل السابع

ترامب
يسحل الأرقام القياسية



رُبَّما يكون ترامب ذاته مولعاً بتحطيم الأرقام القياسيَّة، وهو كذٰلكَ فعلاً. ولٰكنَّ المسألة التي سنقف عندها ليست من هٰذه الزَّاوية ولا تقترب منها ولا من بابها، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ فيها الكثير مما يقال ويستحق أن يقال من باب الدراية والهواية علىٰ الأقل، ولَكنَّهَا مسألة شخصيَّة؛ مسألة ولع ترامب هٰذه هي بمعنى من المعاني مسألة شخصيَّة، لا تعنينا هنا الآن.

الذي يعنينا هو الأرقام القياسية التي حطمها في بلاد الحرمين الشرفين من حَيْثُ لم يرد ومن حَيْثُ لم يدر، ومن حَيْثُ لم يخطر في البال ولا في التَّخطيط.

قرر ترامب ذاته شخصيًّا أن تكون جولته الخارجية الأولى ثلاثية تبدأ بالسُّعودية ومنها إلىٰ إسرائيل ومنها إلىٰ الفاتيكان. مراكز الأديان السماوية الثلاث فيما يبدو، ولٰكنَّ الأمر أبعد من ذٰلكَ بالتأكيد، فترامب الذي يحارب الإسلام حرباً شعواء من عشرين سنة كيف يجعل محطته الأولى الأولى هي السعودية؟ وترامب الذي يقول منذ عشرين سنة كل أسبوع مرة علىٰ الأقل: أموال السعودية لنا ولن نعيدها لهم، وعلىٰ السعودية أن تدفع وتدفع وتدفع... كيف يمكن أن يجعل السعودية محطته الخارجية الأولى؟

لا يجوز بحالٍ من الأحوال تسطيح دلالات هٰذه الزيارة كما يفعل الإعلام العربي والمحللون العرب عندما ركَّزوا ويركِّزون علىٰ أهمية هٰذه الزيارة علىٰ أن ترامب اختار السعودية لتكون أولى محطاته الخارجية، وتجاهلوا بوقاحة منقطعة النظير أنَّهُ سيذهب منها إلىٰ إسرائيل ومن إسرائيل إلىٰ الفاتيكان. وهل السعودية أولى عنده من الفاتيكان وإسرائيل ليبدأ بها؟

علىٰ أي حال. خادم الحرمين الشرفين خربط الدوزان الترامبي وحرف الأنظار عن التَّحليلات المحتملة إذ قام بجمع كلِّ قادة العالم الإسلامي تقريباً لهٰذا اللقاء وتحول اللقاء من زيارة دولة لدولة بما تحمله من خصوصيات إلىٰ لقاء توزيع حمل المسؤولية وعدم تحملها من طرف واحد، وهنا تبدأ سلسلة تحطيم وسحل الأرقام القياسية.

في إطار الفكرة السَّابقة ذاتها وقبل الانتقال إلىٰ سحل الأرقام القياسية جدير بالتذكير به أنَّ السعودية عبر تاريخها تفعل كلَّ شيء من دون أن تظهر في الواجهة، فعلت كلَّ ما فعلت بيد غيرها لتظلَّ صورتها الظَّاهرة طاهرة نظيفة عصية علىٰ الطَّعن وعصيَّة علىٰ الإدانة بوثيقة أي وثيقة. وفي هٰذا الإطار ولهٰذا السَّبب جاء جلب قادة العالم الإسلامي للمثول بَيْنَ يدي ترامب وإقرار ما سيقرَّر بإجماع إسلاميٍّ وليس بتفرُّد سعودي، فلا تحمل السعودية مسؤولية شيء في الظاهر، فكلُّ قواد العالم الإسلامي طلبوا، وافقوا، قرروا، أجمعوا... ومن هٰذه الزاوية يمكن قراءة كل ما سينجم عن هٰذه القمَّة وقد نجم قبلها أصلاً بالتَّسريبات التي تلاحقت وتتلاحق كلَّ دقيقةٍ.

استغرقت رحلة ترامب الطائرة من واشنطن إلىٰ السعودية نحو ثلاثين ساعة متواصلة، ولٰكنَّهُ في ظرف عشر ساعات أو قل أربع وعشرين ساعة في الحد الأقصى سجل أرقاماً قياسيَّةً تاريخية لم يسبق لها مثيل وربُّما لن يكون بعدها مثيل إلا في الظَّرف المشابه:

اليوم الحادي والعشرين من أيار ٢٠١٧م عقد الرئيس الأمريكي ثلاث قمم جماعيَّة خلال عشر ساعات هو وحده طرف ومجاميع الدول الأُخْرَىٰ كل علىٰ حدة طرفاً مقابلاً: قمة ترامبية خليجيَّة، وقمة ترامبية عربيَّة، وقمَّة ترامبية إسلاميَّة، وهٰذا رقم غير مسبوق في تاريخ اللقاءات السياسية عبر التاريخ، بل حَتَّىٰ قمتين رقم غير موجود عبر التاريخ الدبلوماسي العالمي علىٰ الإطلاق فكيف بثلاث قمم؟

في هٰذه الأثناء ذاتها عقد الرئيس الأمريكي ذاته في المكان ذاته فيما بَيْنَ القمم الثلاث نحو عشرين لقاءَ قمَّةٍ فرديَّةٍ، أي هو مع كل زعيم دولة أُخْرَىٰ منفردين ما بَيْنَ خليجي وعربي وإسلامي. وهٰذا الرقم يصعب الجزم فيما إذا كان مسبوقاً أو غير مسبوق فقد يحدث علىٰ هامش المؤتمرات الدوليَّة مثل الجمعيَّة العموميَّة للأمم المتحدة أو المؤتمر الإسلامي أو غيره، ولٰكنَّهُ علىٰ أي حال رقم قياسي، وسيكون غير مسبوق بالإضافة إلىٰ القمم المرافقة.

والرقم القياسي غير المسبوق عبر التاريخ علىٰ الإطلاق هو أنَّ ترامب بهٰذه القمم الثلاث وجه أكبر إهانة في التاريخ لقواد ٤٥ دولة مسلمة إذ جمعهم مثل الطلاب في قاعة محاضرات والتقى بهم لقاء المعلم مع طلابه...

من غير شكٍّ أبداً فإنَّ هٰذه القمة الترامبية الخليجية العربية الإسلاميَّة أكبر إهانة في التاريخ لهم جميعاً سواء اجتمع بهم فرداً فرداً أو جمعهم جمعاً أو طرحهم طرحاً... فقط تخيل المشهدين.

لقد اصطف قواد المسلمين وتمَّ تفتيشهم قبل دخولهم، وتفقدهم بالاسم مثل طلاب المرحلة الابتدائيَّة، وجلس جميع القواد المسلمين علىٰ المقاعد منتظرين البروفيسور ترامب ليدخل عليهم ويبدأ بإلقاء محاضرته ليشرح لهم فيها معنى الإسلام وأصول قيادة المسلمين. وأخيراً وصل ترامب وبدأ بإلقاء محاضرة عليهم في أصول الإسلام والطرق المثلى لقيادة المسلمين.

غير المدهش وغير الجديد أنَّ قواد المسلمين والمحللين السياسيين ينتظرون معرفة ماذا سيفعل ترامب ولي أمر المسلمين مع الأسد وإيران والحوثيين وغير ذٰلك ليعرفوا ماذا سيفعلون في خدمة السيد ترامب في فعل ما يريد أن يفعل... طبيعي فهم حمالو الشنطة لا أكثر.

وبالفعل طرح مشروعه في محاربة الإسلام تحت غطاء محاربة الإرهاب، ورفع الجميع أيديهم موافقين بابتسامات عريضة، ولٰكنَّ الطريف أنَّ مسؤولاً أمريكيًّا قال لقناة الجزيرة

. «إنَّ الرئيس ترامب انسعد وانبسط من القمة الخليجية الترامبية أكثر من القمم الأخرى ولذٰلك قرَّر جعلها سنوية لمحاربة الإرهاب الإسلامي».

علىٰ أيِّ حال ليس قادة الخليج وحدهم من تسابقوا لخدمة ترامب وتنفيذ رغباته، فخلاصة القمة التَّرامبية الإسلاميَّة هي أنَّ قواد المسلمين موافقون علىٰ أن

يكونوا فدائيين عند ترامب لمحاربة الإسلام الإرهابي والمتطرف... الإسلام الإرهابي، الإسلام المتطرف... افهموا جيِّداً.

في سياق مقابل فإنَّ أمريكا وترامب أخيراً لا يفتأ يبعبع بأنَّهُ لن يسمح لإيران بتهديد أمن الخليج، وأن إيران رأس الإرهاب العالمي، وقد قال ذٰلكَ في محاضرته علىٰ قواد المسلمين، ولٰكن مع ذٰلكَ كلِّه لم يكن هناك أيُّ تعهدٍ أو بندٍ أو مشروعٍ أو وعدٍ لا لمنع تهديد إيران لدول الخليج أو المنطقة بل لوضع حدٍّ لتدخلاتها التي دمَّرت المنطقة وشردت أكثر من عشرين مليون من أهلها.

تركيا في ٢٢/ ٥/ ٢٠١٧م



ـــــ * ـــــ



الفصل الثامن

هل فعلا أمريكا تضحي بحلفائها؟



منذ انهيار شاه إيران محمد رضى بهلوي أمام الثورة الخمينيَّة التي حملت اسم الثَّورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة تولَّد انطباعٌ راحت دوائره تنداح مع تواليه من أحداث مشابهة يقول: «إنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تتخلَّىٰ عن حلفائها بسهولة». أو أنَّ الولايات المتحدة لا تتمسك بحلفائها، ولا تدافع عن حلفائها. وقم بتوسيع التَّعبير في عدد من الاتجاهات والأساليب فلن تكون مبالغاً طالما تدور حول محور الفكرة ذاتها.

عندما تأكَّد انهيار سلطة الشَّاه في إيران وقبل أن يغادر إيران جرت محاولات متعدِّدة منه للحصول علىٰ سماح له باللجوء إلىٰ أمريكا ولٰكنَّ الولايات المتحدة رفضت كلَّ الطَّلبات وأغلقت أمامه الأبواب كلَّها... حَتَّىٰ ضاق الخناق علىٰ الشاه وغادر علىٰ عجل ليحصل علىٰ حق اللجوء إلىٰ مصر.

بل إنَّ الرئيس الأميركي جيمي كارتر الذي قامت الثَّورة الإيرانيَّه ضدَّ الشَّاه في وقت حكمه كان قد وصف الشَّاه في عام ١٩٧٧م بأنَّهُ واحة أمان في محيط متلاطم الأمواج. ولٰكنَّهُ ذاته ما إن تصاعدت الثورة الإيرانيَّة ضدَّ الشَّاه حَتَّىٰ أرسل له موفداً طالبه بالتَّخلي عن عرشه ومغادرة إيران... مغادرة إيران ولٰكن

ليس إلىٰ أمريكا التي لن تقبله علىٰ أراضيها. والملفت في الأمر أنَّ هٰذا كله كان علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ كلَّ البوادر تقول بأنَّ الثورة الإيرانية معادية لأمريكا حَتَّىٰ شعارات الثورة لم تكن بعيدة عن هٰذا المناخ. وهٰذا ما حيَّر المراقبين ردحاً من الزمن وربَّما لم يزل، ولٰكنَّ الحقيقة كانت واضحة عند ذوي البصيرة وإن لم يصدقهم أحد.

وعلىٰ أي حال فإنَّ وليم سوليفان آخر سفير أمريكي في إيران قبل رحيل الشاه فتح باباً لإجابة صريحة علىٰ ذٰلكَ إذا قال في كتابه «أمريكا وايران»:

«التفت الشاه نحوي وقال: إن هناك مؤامرة أجنبية تنشط ضدِّي. وأنا لا أستغرب أن يفعل ذٰلكَ السوفييت والإنجليز، لٰكن مما يحزنني من الأعماق أكثر من أي شيء آخر هو دور وكالة المخابرات الامريكية (سي آي ايه) في هٰذه المؤامرة ومازلت أسأل نفسي عن الأسباب التي جعلت المخابرات الأمريكية تشترك في المؤامرة؟.. ما الذي اقترفته ضدَّ أمريكا حَتَّىٰ تعاملني بهٰذه الطَّريقة القاتلة؟»...

أمريكا هي التي كانت وراء الخميني وثورته علىٰ الشاه. وحَتَّىٰ الآن لا يصدِّق الكثيرون هٰذه الحقيقة.

المهم الآن، منذ ذٰلكَ الحين تقريباً بدأت تشيع فكرة أنَّ أمريكا لا تحمي حلفاءها ولا تدافع عنهم، وبعد ذٰلكَ الحين بقليل ورويداً رويداً تم استحضار مشاهد نقليَّة أو خبريَّة عن تخلِّي الولايات الأمريكية عن حلفائها بفيتنام عندما انسحبت منها وأنهت حربها عليها عام ١٩٧٥م. بل في الآونة الأخيرة كثر نشر صورة قيام جنود أمريكيين برفس جندي فيتنامي كان معهم

ومنعه من ركوب الطائرة معهم ليكرسوا حقيقة تخلي أمريكا عن حلفائها في لحظة احتياج الحلفاء لها.

فكرتان مهمتان هنا سنعود إليهما بعد قليل، أتركهما تحت سترهما، وإنما حبذاً لو بقيت صورة فكرة هٰذه الفقرة في البال بضع دقائق. ولٰكن من الفقرة السَّابقة أنطلق لأبيِّن مسألَة مهمَّة، وهي أنَّ إثبات تخلِّي الولايات المتحدة الأمريكيَّة عن حلفائها لم يكن أصلاً ينتظر ظهور الصُّورة الفيتناميَّة بحالٍ من الأحوال. لماذا؟

لأنَّ تاريخ تخلِّي الولايات المتحدة الأمريكية عن حلفائها منذ شاه إيران الذي يبدأ به تقريباً تأريخ تخلي الولايات المتحدة عن حلفائها وعدم دفاعها عنهم وإلىٰ الآن قدَّم الأمريكان شواهد ونماذج متعدِّدة للتَّخلِّي عن الحلفاء وتركهم لمصيرهم المجهول في أقلِّ تقدير. لن نحصي وإنَّما سنمر مروراً عابراً علىٰ بعض الأمثلة فقط.

بعد الشاه محمد رضا بهلوي بثلاث سنوات فقط تقريباً اندلعت الثورة الشعبية ضدَّ الرئيس السوداني جعفر النميري الذي كان حليفاً بامتياز لأمريكا، رُبَّما ليس مثل الشاه ولٰكنَّهُ كان محسوباً علىٰ أمريكا وقدم لهم وللصهيونية خدمات واضحة منها ما يقال، من غير تحقق، عن دفنه لنفاياتهم النووية في بلاده، ومساعدته في ترحيل يهود الفلاشا من إثيوبيا إلىٰ فلسطين المحتلة وغير ذلك. طلب مساعدة الأمريكان في تثبيت سلطته ضد الثورة فلم يقبلوا، وطلب اللجوء إلىٰ أمريكا فلم توافق أمريكا، فانهارت سلطته وتخلى عنها في ٦ نيسان/ أبريل ١٩٨٥م، ومرة أُخْرَىٰ

بعد أكثر من سنة من الإطاحة به طلب السفر إلىٰ أمريكا ولٰكنَّهُم رفضوا استقباله.

وفي مثال آخر عندما اشتد أوار الثورة التونسية علىٰ نحو مفاجئ ولم يجد زين العابدين بن علي من حل إلا أن يركب طائرته ويغادر البلاد من دون أي تنسيق مع أي أطراف خارجية، فأقلعت طائرته وبدأ التواصل مع الأوروبين الذين هم أقرب جغرافيًّا فلم تسمح له دولة أوروبية بالنزول في أراضيها حَتَّىٰ للتزود بالوقود مع طول التَّحليق في الجو. وتواصل مع الأمريكان، وهو حليفهم قبل أن يكون حليف أوروبا، ولٰكنَّهُم رفضوا استقباله وهو في أحرج موقف يمكن أن يخطر في البال، طائرته تحلق في الجو من دون هدف أو وجهة ومع ذٰلكَ لم يسمحوا له بالتوجه إلىٰ أمريكا... حَتَّىٰ تواصلت معه السعودية وطلبت منه التوجه إليها وقبول وجوده علىٰ أراضيها في ظاهرة استغربها الجميع حينها بسبب ما يفترض من توتر وتشاحن بَيْنَ زين العابدي والسلطة السعودية. ولٰكنَّ الأمور انكشفت بعد حين غير بعيد.

وفي مثال آخر أيضاً لا أحد ينكر قيمة الرئيس المصري محمد حسني مبارك في الاستراتيجيا الأمريكية ومدى تحالفه معها وخدماته لها. ما إن اندلعت الثورة المصرية أواخر عام ٢٠١٠م حَتَّىٰ تخلت عنه بسرعة هائلة ورفضت التمسك به ورفضت الدفاع عنه، وقد ذكر الرئيس الروسي الاحتياطي دميترى ميدفيديف ذٰلكَ قائلاً: «إنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تخلت عن الرئيس المخلوع حسني مبارك وتركته بمفرده علىٰ الرَّغْمِ من تعامله معها بإخلاص... إنَّ أمريكا جعلت نهاية مبارك مؤسفة، وتركته بمفرده في

نهاية الطريق ليواجه مصيراً مؤسفاً ومحزنًا بعد أن خذله الأمريكيون»، ثمَّ يحاول إقناعنا وهٰذه عقيدته بطبيعة الحال أنَّ سقوط مبارك هو الذي فتح الطَّريق لنمو قوى التطرف.

لسنا بحاجة لشهادة دميترى ميدفيديف ولا شهادة فلاديمير بوتين لنفهم حقيقة تخلي أمريكا عن مبارك. هي حقيقة واقعة. وهو واحد من شواهد تخلي أمريكا عن حلفائها كما يؤكد كل الذين يدعمون نظرية أنَّ تخلي أمريكا عن حلفائها عقيدة راسخة في ذهنيتها حَتَّىٰ وصل الأمر ببعضهم إلىٰ القول: «إن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية تاريخٌ حافلٌ بالغدر والخيانة لأصدقائها».

ونثب عن سلسلة طويلة من تخلي أمريكا عن حلفائها وعدم الدفاع عنهم لنقف عند الأيام الأخيرة الماضية التي تخلت فيه أمريكا عن حلفائها الأكراد في سوريا، الأكراد الذين قدموا الغالي والرخيص في تحالفهم مع أمريكا علىٰ الأقل الأقل في حربها ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة كما يصور الأمريكيون وغيرهم. ونفخت رأسهم بالوعود والعهود حَتَّىٰ صار الحوار معهم بل الكلام فقط من باب المحال. وفجأة تنسحب وتتخلى عنهم تتركهم للمصير الأسود إما بَيْنَ فكي النظام السوري أو بَيْنَ فكي تركيا. وليس هٰذا فحسب بل أيضاً تخلت عنهم في العراق في أحلك اللحظات عندما استفتوا علىٰ الاستقلال ورفضت مساعدتهم أو الدفاع عن استقلالهم.

قلنا يكفي هٰذا من الأمثلة، والأمثلة الباقية كلها من هٰذا القبيل لا أكثر ولا أقل. ولٰكن في حومة هٰذا الكلام كله وما يشبهه الذي يردده

المحللـون علـىٰ مـدار مـا لا يقـل عـن ثلـث قـرن مضـت لم يـذكروا مـاذا فعلته أمريكا لحليفتها إسرائيل، ولم يتساءلوا: هل يمكن لأمريكا أن تتخلى عن إسرائيل؟

طيب، لنترك إسرائيل في هي كما يردك الكثيرون استثناء في التحالفات الأمريكية. حَتَّىٰ في ظل سياسة ترامب الرعناء وملاطمته يميناً ويساراً وما حوله من شبهات هل تخلى عن الدول الأوروبية الغربية أو يمكن أن يتخلى عنها؟

والسؤال الأكثر خطورة وأهمية من ذٰلكَ كله الذي لم يسأله أحد ولم ينتبه إليه في سياق الحملة علىٰ تخلي أمريكا عن حلفائها هو: هل كان شاه إيران محمد رضى بهلوي حليفاً لأمريكا؟ وكذٰلكَ كان حسني مبارك أو جعفر النميري حلفاء لأمريكا؟؟؟

هنا بدأت تتفكك معادلة التحالف. لاحظ كيف أننا انتقلنا من الحلف بَيْنَ أمريكا وإسرائيل أو بَيْنَ أمريكا وأوروبا الدول والأمم، إلىٰ التحالف بَيْنَ أمريكا ومحمد رضى بهلوي، بَيْنَ أمريكا وحسني مبارك!

كيف يمكن أن يكون وبأي منطق يمكن أن يكون تحالف دولة بل الدولة العظمى في العالم مع شخص؟

منطقيًّا يوجد خلل في المعادلة. لا توجد أحلاف بَيْنَ دول وأشخاص بحال من الأحوال. ومن ثَمَّ لا يمكن أبداً أن يكون شاه إيران حليف أمريكا، كما لا يمكن رئيس مصر حسني مبارك حليفاً لأمريكا بحال من الأحوال؛ حسني مبارك بقي ثلاثين سنة في الحكم تغير فيها سبع رؤساء لأمريكا وبقي هو حليف الجميع.

حسناً، سيسأل بعض قائلاً:

. إذن ما حال الأكراد وهم شعب وليسوا شخصاً؟

هنا ننطلق إلىٰ الفكفكة الثانية لمعادلة التحالف. الأكراد في العرف الأمريكي مسلمون مهما تلونت قيادتهم، واحتمال عدوتهم للإسلام في الظنون الأمريكية والغربية قائمة مهما طال الزمان بها، ولهٰذا السبب ذاته لم يثق الغرب في تركيا علىٰ مدار نحو مئة سنة من التحالف الاستراتيجي الكبير، ولم يسمحوا لها بالانضمام للاتحاد الأوروبي حَتَّىٰ قبل استلام حزب العدالة والتنمية الحكم في تركيا.

الترك والكرد بالنسبة لأمريكا عدوٌّ مضمرٌ مهما طال الزمان بالتحالف إذا جاز أن يسمى تحالفاً. ولذٰلك انظر في السنتين الأخيرين مدى ما فعله الغرب بتركيا ومدى تخليهم عنهم ومحاربتهم لها واستفزازها من أجل إسقاط الحكم المحسوب علىٰ الإسلام فيها، وحَتَّىٰ لو أسقطوا هٰذا الحكم فلن تكون تركيا حليفاً لهم.

إذن، والنتيجة؟

أمريكا بصفتها وخصوصيتها، وبوصفها زعيمة العالم الغربي، لا تتخلى عن حلفائها، ولم تتخلى عنهم، وما حصل ما من يسمون حلفاء أمريكا هو تخلي عن عملاء انتهت مهمتهم، أو سقطت ورقتهم، أو باتوا عاجزين... هو تخلٍّ عن عملاء. ولا توجد دولة في الدنيا تتمسك بعملائها المأجورين أو تدافع عنهم إذا اشتد جد الجد. هي تدافع عنهم بقدر ما يقدم استمرارهم من فوائد للمصالح الأمريكيَّة. ولذٰلك فإن عملاء مأجورين لأمريكا برواتب معلنة تقريباً

تستميت أمريكا في الدفاع عنهم لأنه لا يوجد بدائل لهم، ولأنهم في مواقع حساسة جدًّا يؤدي تخلخها أو تغير إلىٰ مخاطر علىٰ المصالح الأمريكية أو مخاطر علىٰ إسرائيل علىٰ سبيل المثال.

إسرائيل وعدنا إليها من جديد هي جزء صميميٌّ من أمريكا وحليف صميميٌّ لأمريكا لا يمكن أن تتخلى عنه بحال من الأحوال. العلاقة بَيْنَ إسرائيل وأمريكا علاقة صميميَّة، ولذٰلك لا يوجد رئيس وزراء إسرائيل حليف لأمريكا وإنَّمَا كلُّ رئيس وزراء إسرائيل حليف لأمريكا بالضَّرورة ومن دون مناقشات ولا حوارات.

ما يقال عن إسرائيل يقال عن أوروبا بطبيعة الحال وإن كان لإسرائيل ميزة أنَّها حليف الغرب كلها وبيدقهم المتقدم في خاصرة العرب والمسلمين. وأمريكا بطبيعة الحال ما هي إلا الشعب الأوروبي في القارة الأمريكية، ومهما اشتد الخلاف بَيْنَهم فإنَّهُم لن يخرجوا من جلودهم بحال من الأحوال وستظل أوروبا وخاصة الغربية عندهم أرض الأجداد ومنبت الهوية والانتماء. ويكفيك دليلاً علىٰ ذٰلكَ ما تراه اليوم من تمييز عنصري صريح بَيْنَ الأمريكي من أصل أوروبي غربي وغيرهم من بقية الشعوب وخاصة العربية والإسلامية، وحَتَّىٰ اليوم في ظاهرة ملفتة فإنَّ الأوروبي الذي يهاجر على أمريكا يكون علىٰ الفور فوق الشبهات وأمريكيًّا أصليًّا بَيْنَما العربي الذي هاجر أجداده إلىٰ أمريكا فإِنَّهُ يظل موضع الشبهات مع أنَّهُ أمريكي الجنسية أباً عن جد.

هكذا يمكن فهم تخلي أمريكا عن حلفائها.

الذريعة التي يناضل بها أصحاب نظرية تخلي أمريكا عن حلفائها هي قول تشرشل الشهير: «في السياسة لا يوجد حلفاء دائمون وإنَّمَا توجد مصالح

دائمة». وعلىٰ هٰذا الأساس يشرحون تخلي أمريكا عن حلفائها مقابل مصالحها. وهٰذه المحاجة مردودة مع صحة قول تشرشرل وعدم الاعتراض عليها. فما الذي يضمن المصالح الأمريكية في هٰذه الدولة أو تلك إذا تخلت عن عميلها الحاكم لهذه الدولة وجاءت سلطة ليست مع المصالح الأمريكية؟

لا يوجد أي ضامن، فكيف إذن تخلت أمريكا عن مصالحها؟

تلكم مسألة مختلفة عن موضوعنا في حقيقة الأمر. توجد أسباب لتخلي الدولة عن مصالحها هنا أو هناك، وتوجد درجات وأنواع للمصالح، والأطراف الأُخْرَىٰ الداخلة معها في صراع أو تنافس... إلا أنَّ مسألة المصالح غير كافية وحدها لتفسير تخلِّي أو عدم تخلي أمريكا عن عملائها، أقول عملائها ولن أقول حلفائها لأنه يوجد تحالف بَيْنَ أمريكا وهٰذه الأطراف التي سلف الكلام عليها التي قال إنها تخلت عنهم.

أقبل تماماً أنَّ أمريكا لا يمكن أن تتخلى عن مصالحها في إيران أو الخليج أو مصر أو السودان أو غيرها حَتَّىٰ لو كانت دولة صغيرة. ولٰكن من الخطأ ومن غير الجائز القول إن مصر أو تركيا أو السودان حليف لأمريكا. الشخص الحاكم أو السلطة الحاكمة تكون منفذة للمطالب الأمريكية ولا تكون حليفاً لها.

تركيا في ٢٥/ ١٢ /٢٠١٨م

*



الفصل التاسع

خلاصة القول
هل ستنشب الحرب
بين أمريكا وإيران



أرجـو أن تلاحـظ بدايـةً أنِّي أتسـاءل إن كانت ستقوم حرب ولم أحدِّد للتَّمييز بَيْنَ المهدَّد والمهـدِّد. يعـني ذٰلـكَ منطقيًّـا أننـا سنوسِّـع دائـرة الاحتمالات إلىٰ «طرفي الصراع»، علىٰ الرَّغْمِ مما يبـدو مـن أنَّ أمريكـا هـي الـتي تهدِّد بشـن الحـرب وليس إيران.

الحقيقة أنَّ الكلام في ذٰلكَ طويلٌ جدًّا غير مملٍّ أبداً. وفيه تفاصيل أكثر من أن تعد أو تحصىٰ. من العبث التَّفكير في قول كلِّ شيء في مقالٍ واحدٍ أو كتابٍ فقط، ومن البلاهة بمكان أن يترقب القارئُ أن يجد كلَّ شيءٍ في مقالٍ أو حَتَّىٰ كتابٍ واحدٍ. الأمر يحتاج متابعةً وديمومةً ومثابرةً من أجل الإحاطة.

ولٰكنَّ ذٰلكَ كلُّه لا ينفي ولا يمنع من الإتيان بالوجازات المعبِّرة لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السَّمع وهو بصير. أما من كان خلاف ذٰلكَ فلن يرضيه العجب وإن كان موشًّى بالنَّغم؛ إن أوجزت له تبرَّم وإن توسَّعتَ له تورَّم.

لن أعود كثيراً إلىٰ الوراء فقد توسَّعت فيما كان في الماضي في كتابي «آفاق التَّمدُّد الفارسي» الذي صدر قبل بضع سنوات. وإن كنت سأتجاوز تفجيرات ناقلات النِّفط التي أفردت لها مقالاً خاصًّا قبل أيَّام فإنَّهَا لن تغيب عنا لأنَّهَا تمثِّل نقطة انطلاق الأزمة الأخيرة التي تصاعدت فيها المواجهة والتَّهديدات المتبادلة وليست الأمريكيَّة فقط.

دعوني أبدأ من إسقاط وَهْمٍ يتذرَّع به الكثيرون ويعوِّلون عليه، وبعضهم يتَّخذه ذريعةً لتأكيد جديَّة الحرب بَيْنَ أمريكا وإيران أو قل من أمريكا ضدَّ إيران. هٰذا الوهم هو الحرب الاقتصادية الشَّرسة من أمريكا ضدَّ إيران، هٰذه الحرب التي أنهكت الاقتصاد الإيراني، وأدَّت إلىٰ تدمير قيمة العملة الإيرانيَّة وهلمَّ جرًّا من هٰذه النَّتائج التي لا يمكن نكرانها.

العقوبات الأمريكيَّة موجودةٌ منذ سنوات كثيرةٍ وبدأت أمريكا ترامب بتشديدها وتصعيدها في الأيام الأخيرة... أتجهل أمريكا أنَّ هٰذه العقوبات لعبةٌ كوميديَّة لا تُسْقِطُ أنظمةً ولا تزعزعها ولا تزعجها ولا تعكر مزاجها أبداً؟

ليست إيران الوحيدة التي تطبيق عقوبات اقتصاديَّة عليها ولم تجد العقوبات ولا الحصار، وليست هي بظاهرةٍ جديدةٍ أبداً، وأثير هنا مسألتين سريعاً في هٰذا الصدد، في عام ١٩٩٢م تباحث معنا بعضُ الباحثين في مراكز بحوث أوروبية في سبب عدم جدوىٰ العقوبات الاقتصادية في إسقاط أنظمة الشَّرق أو إضعافها. قلت حينها: هٰذه العقوبات تقوِّي الأنظمة وتُضعف الشُّعوب... الأنظمة لا تبالي بالشَّعب ولو مات كله جوعاً. والمسألة الثَّانية هي كلَّ الدول التي تمت معاقبتها كانت لها منافذ ومخارج إلا العراق من ١٩٩٢م إلىٰ ٢٠٠٣م فإنَّهُ أحكم عليه الحصار إلىٰ درجة تفوق الخيال. لماذا أورد هٰذه المسألة هنا؟ سنعرف قليلٍ لماذا.

أعني من هٰذا الشَّاهد أنَّهُم يعرفون منذ عقود غير قليلة أنَّ كلَّ العقوبات التي يفرضونها علىٰ الأنظمة تسهم في تقويتها لا إضعافها، ومنذ عقود أرسلوا مختصيهم لتعقب المسألة في بلدان الشرق ذاتها والاستنارة بتحليلات خبرائها

أنفسهم. فمن غير المعقول أن تجهل أمريكا وغيرها من الدول الأوروبية هٰذه الحقائق، ومن ثَمَّ فإنَّهم موقنون تمام اليقين أن عقوباتهم كلها حبرٌ علىٰ ورق بل تعزيز لقوة هٰذه الأنظمة علىٰ حساب شعوبها بالدرجة الأولىٰ والأخيرة وما بَيْنَهما من درجات. ولا أطيل في حقيقة العقوبات الأمريكيَّة علىٰ إيران وأسبابها والغايات المعلَّقة عليها إذ سيكون لذٰلكَ موضوع كلام آخر.

إذن لنسقط من حساباتنا أنَّ الحرب الاقتصاديَّة حرب أو ذات جدوى أو ذات نتائج، ويسقط بذٰلكَ كلام علي شامخاني ومحمد جواد ظريف وزير الخارجية الإيراني وغيرهما من المسؤولين الإيرانيين بأنَّ الحرب الاقتصادية بديل عن الحرب أو هي الحرب أو ما شابه ذٰلكَ. أقول ذٰلكَ علىٰ الرَّغْمِ من كل ما يتعرَّض له الاقتصادي الإيراني من انهيار.

لن نذهب إلىٰ الافتراضات ونناقشها فنحن لسنا أمام شبهات نستخلص منها الأقرب للحقيقة من خلال القرائن وما يساندها ونقائضها وما يعاندها... نحن أمام حقائق دامغة مباشرة وليست استنتاجيَّة ولا لا استدلاليَّة ولا برهانيَّة وقديمة جدًّا في حالة ديمومة غير منقطعة، علىٰ أساس قديمها قلت مراراً منذ سنين وأكرِّر:

لو رأيتُ رؤيا ورؤية اليقين أنَّ أمريكا تحارب إيران لقلت هٰذا تمثيل وخداع وتضليل مهما بلغت حجوم الخسائر وأعداد الضحايا... كلها ستكون في سبيل القضية المقدسة بَيْنَهما.

إذن أنا أقطع بداية في أنَّهُ لن تكون أيُّ حرب أمريكيَّة ضدَّ إيران وبالضَّرورة لن تكون هناك أيُّ حربٍ إيرانيَّة ضدَّ أمريكا، وما الحرب التي تشنها

إيران علىٰ ناقلات النفط بأذرعها الظاهرة لا الخفية إلا لأهداف خبيثة متَّفق عليها ومنها الإيهام والتَّضليل وتصوير إيران علىٰ أنَّهَا عدو وتعزيز هٰذا التصور علىٰ الأقل عند الجماهير الإيرانيَّة وإن كنت أقرب إلىٰ الطَّعن في أنَّهُم لا يعرفون الحقيقة، وعند عامة المسلمين أنصار نظريَّة لا للطائفية، وكلنا أخوة في الإسلام، وهلم شحطاً في هٰذا الكلام.

مرَّت كلُّ تفجيرات ناقلات النِّفط بتبريد الأجواء وتلطيفها علىٰ الرَّغْمِ من التَّعهُّدات الأمريكيَّة كلِّها بأنَّ حماية ناقلات النِّفط في الخليج العربي تقع علىٰ عاتقها ولهٰذا الغرض تنتشر بوارجها الحربيَّة في هٰذا الخليج منذ عشرات السنين... وقد تكلَّمت في ذٰلكَ ومن هٰذا التَّبرير والتَّطمين أبداً.

سؤالٌ ذكيٌّ طرحه مذيعُ قناة الجزيرة علىٰ أحد الضيوف مساء ٢٥/ ٦/ ٢٠١٩م قائلاً:

. لماذا هٰذه العودة إلىٰ التَّصعيد بعد كل هٰذه التَّصريحات بالتَّهدئة والرَّغبة في الحوار؟

بغضِّ النَّظر عن إجابة الضَّيف الذي غرَّب وشرَّق ولم يقترب من الحقيقة أقول:

كان لا بُدَّ من التَّصعيد والمزيد من التَّصعيد والإنذار والوعيد للإيحاء بأنَّ الحرب جدية والعداء جدي وليس كذباً ولا تضليلاً كما استقرَّ قرار الجمع الذيي يوجهون له هٰذا التَّضليل والخداع. المعنيون بالخداع والتَّضليل أكثرهم لم يصدقوا هٰذه المهاوشات والمناوشات والملاوشات ولم يقتنعوا بأنَّ أمريكا تعادي إيران أو تود محاربتها، وهٰذا القناعة ليست استنتاجاً ولا استدلالاً وإنما هي نابعة من صميم صريح التَّصريحات الأمريكيَّة ذاتها.

هٰذه الفكرة ذاتها هي مفتاح فهم طبيعة الصِّراع الأمريكي الإيراني. كلُّ صراعٍ بطبيعة الحال له أهداف وغايات وأغراض، هٰذا إذا كان الصراع حقيقيًّا، وإذا كان وهميًّا فمن الضَّروري إلباس هٰذا الصراع هٰذه الأهداف والغايات والأغراض وتصوير الصراع علىٰ أنَّهُ من أجلها، في حيت أنَّ هناك غايات وأغراض خلفية، مضمرة، مخفية، هي التي يراد لهذه الصراع أن يحققها.

الأدلة علىٰ أنَّ الصراع بَيْنَ أمريكا وإيران صراعٌ وهميٌّ أهدافه الظاهرة مثل أي صراع لحبك اللعبة، ولٰكنَّهُ ذو أغراض خفية. الأدلة والبراهين علىٰ ذٰلكَ كثيرة ليس هٰذا وقتها وقد توسعنا فيها في أماكن أُخْرَىٰ، وسنعود إليها في مقالات أُخْرَىٰ، ونكتفي هنا بأحداث الأيام الأخيرة وما رافقها من تصريحات. أمَّا الأغراض الخفية والتي لم تعد تخفى علىٰ المهتمين علىٰ الأقل فهي تلميع صورة إيران وإقناع عامة المسلمين بأنَّ إيران تعادي أمريكا وأمريكا تعادي إيران، ويأملون من ذٰلكَ أشياء كثيرة أبرزها تغييب الإسلام المسمى بالإسلام السني وتقديم إيران قائدة للمسلمين وممثلة للإسلام الحقيقي كما يزعمون، وعلىٰ منبر الأمم المتَّحدة قبل أعوام ثلاث أو أربع فيما أذكر قال الرَّئيس الإيراني حسن روحاني: «نحن الإسلام الحقيقي الذي يجب أن تثقوا فيه وتتعاملوا معه».

عند من يحسن التفكير والتدبير؛ هٰذا الهدف إذن واضح لا لبس فيه. وقلنا الأدلة علىٰ الخداع الأمريكي الإيراني في حقيقة الصراع بَيْنَهما طويلة وكثيرة، إلىٰ جانب الكثير مما وقفنا عنده من مشاهد وأدلة فيما سبق، وإلىٰ جانب ما سنأتي عليه في غير هٰذا المقال، سنقف عند مشهد قيام إيران بإسقاط الطائرة الأمريكيَّة.

بردت الهمَّة الأمريكيَّة واقتنع الجميع بكذب أمريكا في عدائها لإيران فكان لا بُدَّ من حدث جلل يعيد التوتر إلىٰ الذروة من جديد لتدارك الخلل الذي أخرج الصِّراع الأمريكي الإيراني عن جادة الجدية إلىٰ سكة الهزل. كان التوتر علىٰ هامش تفجير ناقلات النفط التي تذهب بها الظنون إلىٰ الحوثيين وتتبرأ منها إيران فدخلت إيران علىٰ خطِّ الاتهام مباشرة من دون مواربة بقيامها بإسقاط طائرة أمريكيَّة مسيرة من دون طيار. وأعلنت إيران علىٰ لسان جيشها وخارجيتها أنَّهَا أسقطت طائرةً أمريكيَّةً بقرارها وإرادتها ورغبتها وأنَّهَا امتنعت عن إسقاط طائرة أمريكية أُخْرَىٰ فيها طاقمها لأَنَّهُم استجابوا للتَّهديد الإيراني. يعني ذٰلكَ أَنَّهُ لا لبس أبداً في الموضوع، ولا شبه، اعتراف صريح تام الأركان، اعتراف وليس استقراءً ولا استنتاجاً بحال من الأحوال مع ان الأدلة علىٰ ذٰلكَ قاطعة أيضاً.

قبل أن أتساءل عن ردِّ الفعل الأمريكي دعوني أتساءل:

. كيف تتجرأ إيران المهترئة اقتصاديًّا بسبب الحصار الأمريكي في ظلِّ التَّهديدات الأمريكيَّة المتواصلة أن تسقط طائرة أمريكيَّة؟

. كيف تتجرأ إيران أن تمنح أمريكا الذريعة للعدوان عليها في الوقت الذي تنتظر فيه أمريكا، فيما يرىٰ الجميع، أيَّ هفوةٍ إيرانيَّة لتستغلها مسوِّغاً لشنِّ الحرب؟

نتساءل هٰذه الأسئلة لما نعرفه عن الحميَّة الأمريكيَّة في شنِّ الحروب علىٰ الشبهات التي تتعلَّق بأمنها وسمتعها. ولن نجيب علىٰ هٰذه الأسئلة، ولن نضع الافتراضات، سنترك الإجابة لسياق ما سيأتي. ولنبدأ مع ردِّ الفعل الأمريكي

علىٰ إسقاط الطائرة الأمريكية في ٢٠ حزيران ٢٠١٩م وكيف تتالىٰ التَّعامل الأمريكي مع هٰذا الحدث الكبير؛ الكبير بكل المقاييس والمعايير... ليس حادثاً عاديًّا، إِنَّهُ إسقاط طائرة أمريكية.

وسط ترقب الجميع الرد الأمريكي المزلزل كتبتُ علىٰ الفور قائلاً: بعد قيام إيران بتفجير ناقلات النِّفط التي تعهدت أمريكا بحمايتها، إيران تسقط طائرة أمريكيَّة أباً عن جد. لو لم تكن إيران وإسرائيل وأمريكا ذراعاً واحداً لقامت أمريكا بمسح إيران من الوجود. أقصى ما ستفعله أمريكا هو القصف بتغريدات تويترية؛ ترقبوا ردَّة الفعل الأمريكيَّة تويتريا على طريقة ترامب/ حسن نصر الله.

بعد ساعات من ذٰلكَ، في اليوم ذاته، الرئيس الأمريكي ترامب يجمع مجلس الأمن القومي الأمريكي للتشاور. هٰكَذا كان الخبر، فعلقتُ عليه قائلاً: للتشاور للاختيار بَيْنَ الاحتفاظ بحقِّ الرَّدِّ أو الرد بصواريخ تويترية. لم أتوقع أكثر من ذٰلكَ بحال من الأحوال، في حين كانت وسائل الإعلام والمحللين يترقبون بدء الصَّليات الصاروخيَّة الأمريكيَّة علىٰ إيران.

بعد ساعات من اجتماع مجلس الأمن القوميِّ الأمريكيِّ خَرَجَ علينا ترامب في مؤتمرٍ صحافيٍّ وليس في التويتر ليعلن اكتشافاته الجديدة المفاجئة، اكتشف أَنَّهُ قد تكون إيران أسقطت الطَّائرة بالخطأ، أو أنَّ شخصاً غبيًّا تصرف من دون مراجعة القيادة الإيرانيَّة، أو أنَّ عسكريًّا أحمق فقد صوابه وصوَّبَ علىٰ الطَّائرة. كان هٰذا الكلام حقيقياً وليس من باب المزاح أو السخرية. كان ذٰلكَ صادماً للكثيرين الذي يترقبون ردة فعل عنيفة علىٰ إهانة الهيبة الأمريكيَّة.

قال ذٰلكَ بعد إعلان إيران الرسمي أنَّهَا وهي بكلِّ حريتها وإرادتها وعقلها وتعقلها قد أسقطت الطائرة، والأدهىٰ من ذٰلكَ أنَّ الحرس الثَّوري الإيراني في اليوم ذاته وبعد تصريح ترامب هٰذا أعاد إعلان أنَّهُ أسقط طائرة أمريكيَّة، وأضاف الحرس الثوري الإيراني بأنه تفضل علىٰ أمريكا بأنَّهُ لم يسقط طائرة أمريكيَّة أُخْرَىٰ لأنَّهَا استجابت للأوامر الإيرانيَّة... ومع ذٰلكَ نجد ترامب يكرِّر أو يكاد يكرِّر: استهدوا بالله يا جماعة، لعَلَّه شخص أحمق تهوَّر في لحظة غضبٍ وأسقط الطَّائرة.

ترامب هو الأشد عُنجهيَّةً بَيْنَ رؤساء أمريكا، والأشدُّ اعتداداً بالعزَّة الأمريكيَّة يتحوَّل فجأة إلىٰ قديس زاهد مسكين ومع إيران فقط. أمرٌ عجيبٌ!

في ١٨ حزيران ٢٠١٩م أي قبل إسقاط الطَّائرة بيومين كتبتُ قائلاً: ترامب الذي هو الأشدُّ وضوحاً وتصريحاً بعدائه للإسلام بَيْنَ الرؤساء الأمريكان يظلُّ كلَّ يوم يكرِّر: لا أريد الحرب مع إيران ولا إسقاط النِّظام، ولا حَتَّىٰ تغيير النِّظام، وإذا توتَّر وانفعلَ تماديٰ فقال: أريد فقط منع حصولها علىٰ سلاح نووي.

والسُّؤال الذي فَرَضَ ويظلُّ يفرضُ ذاته: الرؤساء الأمريكيون السَّابقون وكلهم معتدلون مقارنة مع ترامب... لماذا لم يفكروا هٰذا التَّفكير مع العراق وأفغانستان والصُّومال... وغيرهم من قبل ومن بعد؟

لا بُدَّ من طرح هٰذا السُّؤال لأنَّ المقارنة تكشف عن الزِّيف والتَّضليل في الضَّخ لإعلامي في حقيقة الصِّراع الأمريكي الإيراني.

في مساء اليوم ذاته استضافت قناة الجزيرة القطريَّة السيناتور الجمهوري ليندسي غراهام وقال في سياق الإجابة: «سنرد علىٰ أيِّ اعتداءٍ إيرانيٍّ عَلىٰ

حلفائنا». ردٌّ كوميدي بطبيعة الحال، لماذا سنرد؟ ماذا تنتظرون؟ لماذا لم تردوا علىٰ تفجيرات ناقلات النفط؟ كيف تردُّون عَلىٰ العدوان علىٰ حلفائكم ولا تردون علىٰ العدوان عليكم؟ أليست الطائرة التي تمَّ إسقاطها أمريكيَّة باعتراف الجميع؟؟؟

انظر إلىٰ تفسير ترامب الكوميدي بعد حماسة التَّصعيد التي أعقبها بالتماس العذر لمن أسقط الطائرة. في اليوم التالي لإسقاط الطائرة قال بما معناه والمعنى دقيق: «الحمد لله أنَّ الطيارة التي أسقطوها كانت خالية من الرُّكاب... لو كان فيها مدنيون لكان الرَّدُّ مزلزلاً».

في اليوم التالي لهٰذا اليوم، أي في ٢٢ حزيران ٢٠١٩م، وصلت الكوميديا الترامبية مدًىٰ سرياليًّا. ففي ظهر اليوم الأمريكي أعلن ترامب أنَّ الخيار العسكري ضدَّ إيران علىٰ الطَّاولة. وبعد ساعات من ذٰلكَ نشر علىٰ تويتر مسرحيَّة تراجيكوميدية عن الضَّربة العسكريَّة الأمريكيَّة لإيران، قال:

فيما كانت الطائرات تتحرَّك للانقضاض علىٰ إيران ومسحها من الوجود سألت المستشارين عن عدد الضَّحايا فقالوا لي سيقتل نحو مئة خمسين إيرانيًّا. مئة وخمسين، فأمرت فوراً بإيقاف الضَّربة. لا نستطيع احتمال إثم قتل ١٥٠ بريئاً.

انتبهوا إلىٰ هٰذا الرَّقم مئة خمسون. من أجل الحرص علىٰ أرواح مئة وخمسين إيرانيًّا قرر ترامب وقف إبادة إيران. وترامب نفسه قبل شهرين من هٰذه الحادثة شنَّ غارات علىٰ الباغور بدير الزور السُّوريَّة وقتل أكثر من ٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمسمئة) مدني ما بَيْنَ طفل وامرأة وشاب وشيخ... لم يعتدوا

علىٰ أمريكا، ولم يقتربوا منها، ولم يفعلوا شيئاً يمس أمريكا... وحَتَّىٰ نكون موضوعيين سنأخذ الرقم الذي اعترف به الأمريكان أنفسهم إِنَّهُ ٢٥٠٠ (ألفان وخمسمئة) مدني.

كيف يمكن أن أفهم هٰذه الرَّحمة الترامبية؟

ثمَّ ازداد التصعيد في وسائل الإعلام ولا نجد من تصريحات لأيِّ مسؤولٍ أمريكيٍّ توحي بهٰذا التَّصعيد، وفجأةً ظهرت نتائج التَّصعيد بمزيد من العقوبات الاقتصاديَّة ضدَّ إيران. والطَّريف فيها أنَّهَا طالت المرشد الأعلىٰ للثورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة، وكأنَّ أمريكا جلبت الدب من ذيله. ويخرج علينا ترامب بعد توقيع العقوبات قائلاً: «إسقاط الطَّائرة الأمريكيَّة هو سبب هٰذه العقوبات».

أمَّا العراق فتم اتِّهَامها زوراً بأنَّهَا تنوي أن تفكر في امتلاك سلاح كيماوي وبناء عَلىٰ هٰذا الافتراء الأمريكي قامت أمريكا بتدمير العراق...

تخيلوا حجم التَّناقض. علىٰ أيِّ حالٍ منذ شهر اعترف بول بريمر الحاكم الأمريكي للعراق عقب الاحتلال بأنَّ مشروع أمريكا في العراق كان إسقاط حكم المسلمين (السنة) وتسليم العراق للشيعة كونهم أكثرية علىٰ حدِّ زعمه. فأيُّ عداءِ إذن بَيْنَ أمريكا والشيعة؟ بَيْنَ أمريكا وإيران؟!

ومع تزايد التَّصعيد باحتمال نشوب الحرب بَيْنَ أمريكا وإيران عبر وسائل الإعلام وتنبؤات المحللين خرج علينا القائم بأعمال وزير الدِّفاع الأمريكي وهو يناشد دول الناتو الاصطفاف وراء أمريكا، ومؤازرة جهودها، ومساعدتها في منع قيام حرب أمريكيَّة ضدَّ إيران...

تخيَّلوا مارداً يناشد الناس الإمساك به لمنعه من الدِّفاع عن نفسه وتحطيم عدوه المشلول!!

خلاصة القول وآخر تطورات الوضع، وآخر النَّتائج التي أوصلها لنا الأمريكيون هي أنَّهُم متشوِّقون لشنِّ حرب علىٰ إيران وإبادتها ومسحها من الوجود، والذي يمنعهم من ذٰلكَ هو خوفهم من إسالة دماء الأبرياء الإيرانيين، يتوقعون سقوط نحو مئة وخمسين قتيلاً، وهٰذا أمر لا يستطيعون تحمل إثمه، ولا يسمح لهم ضميرهم بهم...

هٰذه هي الصُّورة التي يقدِّمها الأمريكيون...

فيا شباب، من كان عنده طريقة لإبادة إيران من دون إسالة دماء يرجى منه الاتصال بترامب علىٰ هاتفه المسجل في صفحته بتويتر... ومن ليس عنده تويتر بإمكانه الحصول علىٰ الهاتف من وزير الخارجيَّة السويدي المفوض من ترامب بإعطاء رقم هاتفه لحسن روحاني، أو من رئيس الوزراء الياباني.

استغباءٌ منقطع النَّظير. والمشكلة في الأغبياء وفي من ينخدع ويقبل الاستغباء أو يخضع له.

تركيا في ٠٢/ ٦/ ٢٠١٩م

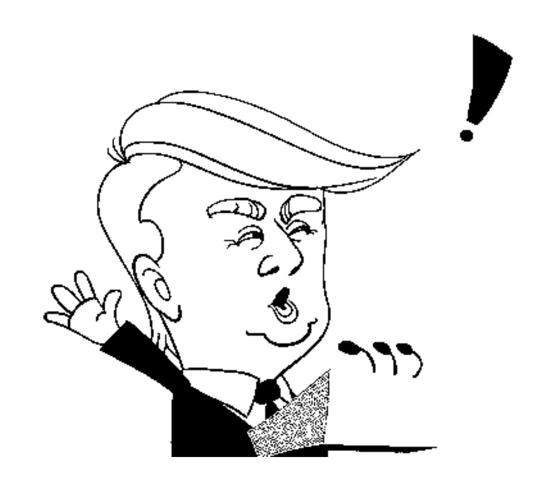


*



الفصل العاشر

ترامب
يواصل زلات الللسان



بـــالأمس القريـــب القريـــب ولـــيس
بالبعيـد أبـداً إِنَّـهُ قبـل أقـلِّ مـن شـهر. في
ظـاهر الحـدث، أهانـت إيـران العنجهيَّـة
الأمريكيَّـة ومرغتهـا بـالتُّراب إذ أسـقطت
إحدىٰ الطَّائرات الأمريكيَّة المسيَّرة وفي الوقت
ذاتـه أجـبرت أُخـرىٰ عسـكرية عَلـىٰ متنهـا
طاقمهـا أن تسـتجيب للتَّهديـدات الإيرانيَّـة
وتتراجع.

في مثل هٰذا الظَّرف عبر ما مضىٰ من ظهور الوِّلايات المتحدة عَلىٰ السَّاحة العالميَّة منذ الحرب العالميَّة الأولىٰ كان ردُّ الفعل الأمريكي عنيفاً وسريعاً وساحقاً ماحقاً بتهديدٍ ومن دون تهديدٍ... بل إنَّ أكثر من تسعين بالمئة من الحروب الأمريكيَّة عَلىٰ الآخرين كانت مبنيَّةً عَلىٰ شبهات وظنون وأيضاً عَلىٰ تلفيقات تزعم وجود فيها تهديد للأمن الأمريكي... وعَلىٰ هٰذا الأساس هاج الأمريكان وماجوا وأطلقوا سيول التَّهديدات، التي أدرك من أدرك منذ البداية أنَّهَا بعبعةٌ وجعجعةٌ لا أكثر، وتهيَّأ العالم للحرب الأمريكيَّة عَلىٰ إيران، وفجأة أعلن ترامب وقف الحرب عَلىٰ إيران.

لماذا يا سيد ترامب؟

لقد قال بنفسه تغريداً تويتريًّا من جهة وفي لقاء بتصريح رسميٍّ من جهة ثانية، قال بالحرف:

. سألت المستشارين كم سيكون هناك من الضَّحايا الإيرانيين؟ قالوا لي: سيموت نحو مئة وخمسين شخصاً نتيجة قيامنا بالقصف!!! يتابع: فقلت لهم عَلىٰ الفور: إذن أوقفوا العمليَّة.

هٰكَذا بالضَّبط برَّر ترامب عدم الثَّأر للكرامة الأمريكيَّة التي مُرِّغت بالتراب.

أيضاً صَعَقَ هٰذا التبرير من يدرون ويعرفون. فقبل أسبوعين من ذٰلك بالضَّبط وبساعة واحدةٍ قتل الطَّيران الأمريكي ثلاثة آلاف خمسمئة شخص في دير الزُّور كلهم من المدنيين بزعم الحرب عَلىٰ الإرهاب المحتمل أن قد يمكن أن يهدِّد الأمريكان... فيما إيران تجاوزت الاحتمالات واعتدت فعلاً عَلىٰ الأمن الأمريكي وتفاخرت بذلك علناً!!!

لا أريد أن أعود إِلىٰ ماضي القرن العشرين وصولاً إِلىٰ الآن فتلك حكايةٌ طويلةٌ. يكفي أن نتذكر قول اليهودي الفرنسي آلان غيرش الذي قال قبل نحو ربع قرن: «لو جلست الولايات المتحدة عَلىٰ كرسي الاعتراف لتحاسب عَلىٰ جرائمها لرُبَّما احتاجت إِلىٰ قرن كامل من تسجيل الاعترافات».

إذن من أين أتت هٰذه الإنسانيَّة والرَّحمة والشَّفقة عَلىٰ مئة وخمسين شخص من الأعداءِ حسب التَّصريحات؟

وهل هٰذه المشاعر صادقة فعلاً أم أنَّهَا يشوبها ما يشوبها؟

أن يشوبها ما يشوبها بات أمراً في حكم البداهات وقد كتبت وكتب الكثيرون في ذٰلك الكثير والكثير مما يفقأ عين الجاحد، ولٰكن للأسف «كنتَ أسمعت لو ناديت حيًّا ولٰكن لا حياة لمن تنادي».

المهم في الأمر هو تصريح اليوم وما قبل ذٰلك التصريح. ففي حين أنَّ الشَّفقة عَلىٰ مئة وخمسين إيراني ألهبت قلب ترامب والساسة الأمريكان وعَلىٰ هامش المفاوضات مع طالبان في أفغانستان وبعد التَّفاخر بما تحقَّق بالمفاوضات قال بالحرف:

. نحن موجودون منذ تسعة عشر سنة في أفغانستان مثل الشرطة... بإمكاننا أن نحسِّن الوضع في يوم أو يومين ولٰكنِّي لست عَلىٰ استعداد لقتل عشرة ملايين شخص.

عشرة ملايين شخص في أفغانستان... الرقم كبير.

انظر كيف تنطق الأرقام بما في الجنان.

الأمر ليس مصادفة، ولا زلَّة لسان، الأمر تعبير عن حقيقة الاعتقاد وطبيعته وأهدافه!!!

لم يقبل أن يؤنبه ضميره عَلىٰ قتل مئة وخمسين شخصاً في إيران. وفي الوقت ذاته ليس على استعداد لقتل عشرة ملايين في أفغانستان!!!

لماذا هٰذا التَّفاوت في الأرقام من القائل ذاته وليس من شخص غيره؟

وفي الوقت ذاته علينا أن نتذكر أنَّ أمريكا قتلت مئات الألوف الأفغان منذ بداية الحرب عليها قبل عشرين سنة تقريباً، وشرَّدت الملايين، ودمَّرت البنية التحتيَّة كلَّها، وجرَّبت فيها كلَّ أنواع الأسلحة وآخرها قبل سنتين أضخم قنبلة غير نووية في العالم تعادل قوَّتها قوَّة القنبلة النَّووية تمَّ تجريبها في أفغانستان. ويأتيك ترامب ويقول لك «لست عَلىٰ استعداد لقتل عشرة ملايين»... لقد سبقه من قتلهم في أفغانستان ذاتها.

هٰذا أيضاً عَلىٰ الرَّغْمِ من أن أفغانستان متَّهمة زوراً من قبل أمريكا بجريمة لم ترتكبها، وإيران ارتكبت جريمة ضدَّ أمريكا فعلاً.

هل فهمت سرَّ تباين الأرقام؟

انتبه جيِّداً من جديد:

فغانستان متَّهمةٌ زوراً بجريمةٍ ضدَّ أمريكاً فقتلت منها أمريكا مئات الألوف وشردت الملايين ودمرت بنيتها التَّحتية، وترامب يختم بأنه إذا حاربها سيقتل عشرة ملايين بيوم واحد.

أمَّا إيران فاعتدت فعلاً عَلىٰ الكرامة الأمريكيَّة باعترافها في كلِّ وسائل إعلامها وترامب يرفض الثأر للكرامة الأمريكيَّة لأنَّهُ مِنَ المتوقع أن يموت نحو مئة وخمسين شخصاً بالقصف الأمريكي.

السُّؤال الذي سيخطر في البال:

. وما الذي ستقصفه أمريكا في إيران حَتَّىٰ يسقط هٰذا العدد من الضحايا؟

. وما هٰذا الرَّقم المرعب لكم في حين أنكم في ظرف ساعة قتلكم ثلاثة آلاف وخمسئة شخص في دير الزور ولم ترمش عينكم؟!

ما أشبه اليوم بالأمس، وما أكثر المتشابهات، وما أقلَّ من يريد أن يفهم أو يقتنع. لهجة حادَّة معتادة وليست بالجديدة بحالٍ من الأحوال من شدَّة الألم من انفضاح الباطل انفضاحاً فاق الحدود، لحدِّ أَنَّهُ يفهمه العقل البليد قبل الرشيد ومع ذٰلك ترىٰ ذوي الفهم السَّديد ليس أبعد منهم من الحق بعيد. هو ذٰلك طبع الإنسان من الزَّمن الموغل البعيد، وليس في ذٰلك من جديد.

ومع ذٰلك ننصدم كلَّ يومٍ بهذا السُّلوك وكأنَّنا نراه أوَّل مرَّةٍ، وما ذٰلك إلا لأنَّ الفطرة بعد كلِّ ما يقرأ الإنسان ويفهم تظلُّ عَلىٰ وضعها الأصيل، وعند أوَّل مخالفةٍ للفطرة تحسبها الفطرةُ خرقاً جديداً.

الدروس كثيرة وأكثر من كثيرة. وقفنا عندها مشاهد مشاهد، ولمحات لمحات، ومنها مشهد اليوم. أثارت زلة لسان جورج بوش ضجَّة كبرىٰ عندما أعلنا بلسانه الطَّويل قائلاً: «إنَّهَا الحرب الصليبية»... أطلق اسم الحرب الصليبية عَلىٰ الحرب التي بدأها ضدَّ أفغانستان المسلمة.

عَلىٰ الفور خرج المبررون من الغربيين وأكثر منهم من أبواق حكام العرب والمسلمين ليقولوا إنَّهَا زلَّة لسان... لا يجوز أن نحملها محمل الجد. ومرَّت عاديَّةً عاديَّة وكأنَّ شيئاً لم يكن عَلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهَا في ساعتها لم تكن عادية، ولا بعدُّ ذٰلك عندما تبيَّن أنَّ الغرب يشن حرباً صليبية عَلىٰ الدُّول المسلمة وليس عَلىٰ أفغانستان وحسب، وقد تنبأت بتفاصيل المشروع في السَّاعات الأولىٰ من أحداث الحادي عشر من أيلول ونشرتها في كتاب موسَّع صدر بدمشق عام ٢٠٠٣م، ولا أطيل في ذٰلك حسبي أن أشير إِلىٰ أَنَّهُ قد انفضح ذٰلك قبل سنة عندما نشرت تواصلات بوش الابن وفرانسوا ميتران التي يقنعه فيها بالمشاركة في تدمير العراق بأنَّهَا حربٌ صليبية دينيَّة للقضاء عَلىٰ آخر أوطار يأجوج ومأجوج مع الانتباه إِلىٰ طبيعة عقيدتهم في يأجوج ومأجوج.

المهمُّ الذي أود أن أشير إليه فقط هو أَنَّهُ قد تمَّ تكريم جورج بوش في السُّعوديَّة والعراق والكويت والإمارات ومصر عَلىٰ حربه صليبية هٰذه ورقص

الجميع معه بالسيوف رقصة النصر!!! كل ذٰلك عَلىٰ أساس أنَّهَا زلَّة لسان وأنَّ جورج بوش هو إمام من أئمة التَّجديد الإسلامي، وقائد من قواد الدِّفاع عن سمعة الإسلام ومكانته وقيمته...

ترامب خشي أن يفوته التَّكريم والرقص بالسيف العربي ومنسف الكبسة فقرَّر أن يأخذ حصته سلفاً في بداية استلامه السُّلطة فهو يعرف ماذا سيفعل، ولذلك رُبَّما خشي أن يغضب عليه من لا يعرفون الغضب لكرامتهم ولا لدينهم، خشي وخشيته في غير مكانها، لأنَّهُ بعد كلِّ ما فعل وأساء سيدعونه للتكريم قريباً ورُبَّما في أماكن لا تخطر في البال.

لم تنتهي زلات الغربيين هنا بحال من الأحوال، تصريحات وأقوال تصدع الرأس بل تنشقه نصفين من شدَّة هولها وكلها تمر مرور سحابة صيف لا يأبه لها المسلمون ولا يعيرونا أيَّ انتباهٍ ولا تحليلٍ ولا تدقيقٍ فلا تسأل عن المحاسبة والملاحقة إذن.

ولا تسأل بعد ذاك عن عدم اتِّخاذ أيِّ تدابير احترازيَّةٍ أو احتياطيَّةٍ... ولاتحسبوا أنَّ الشُّعوب أكثر حميَّة من القواد الذين مهمتهم أصلاً محاربة الإسلام والمسلمين... عامة المسلمين وخاصتهم أسوأ من الحكام والسلاطين ما عدا الاستثناء العاجز لأكثر من سبب.

فلا يقولن أحد إنَّنا مكبولون بسبب الحكام!!

هذا كلام لا قيمة لها ولا يغفر الذنب...

انظر ماذا كان بإمكانك أن تفعل وأبيت متِّخذاً من سخف الذرائع سبباً للهروب...

بل انظر ماذا فعلت في نصرة هؤلاء الذين يعتدون عَلىٰ دينك وعرضك ومالك وأنت تحسب أنَّك تفعل الصَّواب، وتصرُّ بعد النُّصح عَلىٰ أنَّك عَلىٰ صواب.

تركيا في ٣/ ٨ / ٢٠١٩م



ـــــــ*ـــــــ



الفصل الحادي عشر

الصراحة الترامبية
والسياسة الغربية



عبارة يطيب لي أن أكرِّرها. وهي: «إنَّ الشَّيطان مع الذين أفسدوا وقالوا إنَّا كافرون. لا شكَّ في ذٰلكَ عندي أبداً أبداً ولو اجتمعت الإنس والجن لتقنعني بخلاف ذٰلكَ». وتلك عبارة تختصر الكثير، وتختزن الكثير، والكلام فيها كثير.

أكثر المحلِّلين الذين يصدعون آذاننا وعقولنا بتحليلاتهم للأخبار والأحداث يصبُّون جام فهمهم وتحليلهم وتقديرهم عَلىٰ كلَّ ما يضلِّلُ الرَّأي العام ويلفت انتباهه عن الحقيقة ولا ينتبهون إلىٰ التَّفاصيل الدَّقيقة العابرة في الكلام أو التَّصريح أو الحدث التي تعبِّر عن الحقيقة تعبيراً دقيقاً.

تكلَّمت غير مرَّةٍ عَلىٰ التَّصريحات الوقحة والفجَّة والمباشرة من الرَّئيس الأمريكي ترامب. وما أكثرها، وما أكثر ما مرَّت مروراً عابراً عَلىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُ لأوَّل مرَّةٍ في تاريخ الدبلوماسية والممارسة السياسيَّة نصادف مثل هٰذه الوقاحة في الوضوح والصَّراحة. ومع ذٰلك كلِّه لَهَثَ الجميع وراءِ ما وراءِ السُّطور مما ليس عليه الكلام وولا القصد يدور، وتركوا المخبور ليضللوا الفهم من جديد بإصرار غبيٍّ عنيد.

ماذا قال ترامب؟

قال الكثير مما تشيب له الرُّضع من الأطفال؛ قال لحكَّام الخليج لولا أمريكا لسحقتكم شعوبكم في ساعات، لولا الحماية الأمريكيَّة

لاجتحـاتكم إيـران في سـاعات... قـال: كـلُّ أمـوالكم حـرامٌ علـيكم ويجـب أن نأخـذها غصـباً عـن لحـاكم... وأخـذها... ولا أطيـل فيمـا لا يجهلـه أكثـر الناس اليوم؟

قال ذٰلك كلَّه في العلن لا في السر، في خطابات عَلىٰ الهواء مباشرة لا في جلسات مغلقة، في التويتر الذي يشاهده عشرات الملايين وربَّما مئات الملايين في دقيقة واحدة... ولم يخجل. لم يخجل وهو يقول عن عبد الفتاح السِّيسي أين ديكتاوتري المفضل، وبعد يومين يلتقيه ويشيد بحكمته وديمقراطيته وأهميته ونجاحه في إدارة البلاد والمنطقة!!

أي إدارة وهو قبل قليل ديكتاتورك المفضل؟

قبل عشرين سنة وأكثر قال ترامب: سأصير رئيساً وسآخذ كلَّ أموال دول الخليج، هي أموالنا ولا يستحقُّونها، إنَّهُم غير أهل لامتلاك هٰذه الأموال. وبعد عشرين سنة قـال ذٰلـك علناً وعَلىٰ مختلف المنـابر، فقـام ملـك السعودية بجمـع حكـام المسـلمين كلَّهـم ليقـدِّموا الجزية لأمريكـا عـن يدٍ جميعاً وهـم صـاغرون. ولم يستح حكَّام الخليج العربي من التَّباهي بدفع أموالهم لأمريكا. وأقول هنا عَلىٰ لسان مسؤولين أمريكيين: إن ما دفعته دول الخليج لأمريكا، منذ ثورة النفط إلىٰ عـام ١٩٩٠م، تحـت بنـود مختلفـة، يكفـي لإنشـاء عشـر إمبراطوريـات مـن طـراز الولايات المتحدة الأمريكيَّة. ذاك المبلغ حَتَّىٰ عام ١٩٩٠م فتخيَّل ماذا كان بعد ذٰلك من غلاء النفط!

لم يشـاهد العـرب والمسـلمون كـلَّ هٰـذا الوضـوح وظلُّـوا يرقبـون الـدَّعم الأمريكي بغباءٍ منقطع النَّظير. غباء واستغباء فوق حدود الخيال.

كلَّ يومٍ يقول ترامب: لن ندافع عن السُّعوديَّة ودول الخليج، ويظلُّ السُّعوديون والخليجيون يغدقن الأموال عَلىٰ أمريكا ويتوسَّلون لأمريكا أن تحميهم وتدافع عنه! حَتَّىٰ اضطرت أمريكا قبل يومين لإرسال مئتي جندي للدِّفاع عن السُّعوديَّة. مئتا جندي أمريكي سيحمون السُّعودية ويدافعون عنها، والثَّمن رُبَّما أكثر من مئتي مليار دولار! ومع ذٰلك وبعد إرسالهم يعود ترامب للتصريح علناً: عَلىٰ السُّعوديَّة أن تدافع عن نفسها، لسنا مسؤولين عن حمايتها.

ما هٰذا الغباء الخليجي؟

وما هٰذه الوقاحة الترامبية؟

ترامب ليس وقحاً، ترامب صريحٌ واضحٌ. فقط وفقط هي الحقيقة. لم يأت ترامب بجديدٍ أبداً في إطار السِّياسة الأمريكيَّة والغربيَّة، عَلىٰ مدار ما مضى منذ الحرب العالميَّة الثانية والحكام العرب بهذه البلاهة إن جاز أن تكون بلاهة لأنَّ وراء الأكمة ما وراءها. أمَّا الغرب فهٰذه عقليَّته وتفكيره وتدبيره منذ مئات السنين غير القليلة ما انفكَّ عنها بحالٍ من الأحوال.

الفرق هو أنَّ ترامب يفكِّر بصوتٍ عالٍ ويفعل بوضوح فيما الغربيون الآخرون يفكِّرون بصمتٍ ويفعلون بدهاء، الطريق واحدٌ والهدف واحدٌ والنتيجة واحدةٌ.

الدَّليل عَلىٰ بلاهة المحلِّلين العرب والمسلمين أَنَّهُم يبحثون دائماً عمَّا يضلِّل الرَّأي العام ويفتنه بعيداً عن الحقيقة تحت ذريعة الموضوعيَّة والأخلاقيَّة والمنهجيَّة وهم من ذٰلك كله خلو، هو أَنَّهُم مع ترامب الذي كسر الزَّجاج وأرانا الحقيقة بوضوح راحوا يبحثون فيما وراء السُّطور... باحثين عما يعزِّز استمرار

الانخداع، وفي حين أنَّ عليهم أن يبحثوا فيما وراء السُّطور وما كبا تحتها من مستور يفعلون العكس فيلقمون القشور ويجترُّون التَّفسير فيما لا يحتاج إِلىٰ تفسير. أتحدَّث هنا عن المخلصين لا عن الخونة سيئي النِّيَّة عديمي الضَّمير، هؤلاء خارج الحكم فهم في طبيعتهم لقَّافون دوارون دجالون أفاقون يعدون الشيطان ويوهموننا أَنَّهُم بَيْنَهم وبَيْنَ الشيطان حرب.

أمس ٢٦ أيلول ٢٠١٩م قال وزير الخارجيَّة الألماني: «عَلىٰ السُّلطات المصريَّة الإفراج عن المعتقلين الذين لم توجه لهم تهم»!!

ماذا يعني ذٰلك؟

يعني لا بأس من عدم الإفراج عن أحدٍ لأنَّ الأمن المصري اتَّهَم الجميع، حَتَّىٰ إنَّ خيَّاطاً جاهلاً لا يعرف القراءة ولا الكتابة تمَّ اعتقاله وبعد التعذيب والتَّهديد أجبروه أن يبصم عَلىٰ اعترافه بأنه كان يسيء استخدام الفيس بوك. وبعد التَّوقيع سأل الضابط: ما هو الفيس بوك يا باشا؟

وفي التَّصريح ذاته تابع وزير الخارجيَّة الألمانيَّة التَّألق في التَّغريد، عَلىٰ هامش استعداد المصريين للتَّظاهر يوم غد الجمعة لإسقاط السيسي، والحشود الأمنية في أماكن التظاهر المتوقعة، وحملة الاعتقالات الهائلة التي تشنها السلطات السيسية منذ بضعة أيام فقال:

«إنَّ المبالغة في الاعتقالات أمر يبعث عَلىٰ القلق لأنَّهُ سيزيد الاضطراب».

جميل، ماذا نفهم من ذٰلك؟

وزير الخارجيَّة الألماني والغرب ليسوا ضدَّ الاعتقالات التي يمارسها نظام السيسي والأنظمة العربيَّة، ولٰكنَّ المبالغة في الاعتقالات تشكِّل خطراً عَلىٰ النظام

في هٰذه الظروف التي يتفاعل فيها المصريون مع ترحيل السيسي، ولذلك يجب التروي والهدوء في الاعتقالات.

الدَّليل عَلىٰ ذٰلك أنَّ السيسي لم يتوقف عن الاعتقالات منذ استلم السلطة؛ اعتقل كبار رجال الدولة والسياسة والفكر والأدب وكلهم من الأبرياء، ثُمَّ قتل منهم ما قتل، ولم يخرج هٰذا الوزير ولا غيره من وزراء الخارجيَّة الغربيين لتشكيل أيِّ ضغطٍ عَلىٰ السيسي، ولن يخرجوا...

وزير الخارجيَّة الأمريكيَّة بومبيو كان أكثر وضوحاً عَلىٰ عادة الأمريكان والسياسة الترامبية عَلىٰ نحو الخصوص. فقال بتصريحه الذي لفت الانتباه بعد إنكار الأمريكان وجود احتجاجات في مصر ضدَّ السيسي، وترحيبهم بالسيسي ومن قِبَلِ الرئيس ترامب شخصيًّا الذي احتفىٰ به وأشاد به في ظلِّ الاحتجاجات، فقال بومبيو: «نحن نؤيِّد التَّظاهرات السلميَّة». وبعد دقائق فقط علق عَلىٰ قناة الجزيرة الدكتور توفيق حميد أحد مشاهير أتباع السيسي في أمريكا قائلاً: «هو يقول التَّظاهرات السِّلميَّة، ويقصد إذ لم تكن سلمية فمن حقِّ النِّظام أن يستخدم العنف ويقتل»...

تعليق توفيق حميد يفي بالغرض، هٰذا لسان أتباع الشيطان بالتمام، يعرفون تمام المعرفة كيف يقرأون رسائل الغرب، ويعرفون أنَّ من يسمونهم الطرف الثالث هم مخابرات النظام الذين يقتلون شرطيًّا أو أكثر ومتظاهرين كثيرين ويطلقون النار ليتَّخذ النظام ذٰلك ذريعة للقتل، كما حدث في سوريا والسودان ومن قبل في مصر... للقول بوجود أعمال تخريب، وصار التَّخريب موضةً قديمة، وصار كلُّ من لا يقبل ما يريده الشيطان يُسَمَّىٰ إرهابيًّا.

كشف ترامب وقبل ترامب الأحداث الأخيرة في العقد الأخير وخاصة إثر الثورة السورية التي كانت المسلة التي نفست الجميع وأكرهتهم عَلىٰ الظُّهور عَلىٰ حقائقهم.

من الصُّعوبة بمكانٍ فهم حقيقة عقليَّة ترامب أهو هٰكَذا بطبعة مهما كانت الظُّروف والمعطيات أم أنَّ الظُّروف والمستجدات الأخيرة هي التي أخرجت الرَّئيس الأمريكيَّ من دهاء السِّياسة إِلىٰ فجور القول والفعل؟!

لقد شاهدنا كيف خرجت السِّياسات كلُّها من جحورها إثر السورية السُّورية ومفرزاتها، ومن ثَمَّ لم يكن ترامب وحده من خرج من دهاء الممارسة السياسيَّة إِلىٰ التَّصريحات النَّاريَّة الصَّادمة وخاصَّة فيما يتعلَّق بالقضايا العربيَّة والإسلاميَّة.

لا شكَّ لدينا في أن أمريكا لا تحبُّ تركيا ولا تقبلها إلا عَلىٰ مضض عَبْرَ ما مضىٰ من تاريخ العلاقات بَيْنَهما منذ تأسيس حلف الناتو الذي كانت تركيا أحد مؤسِّسية وهي ثاني أكبر قوَّة عسكريَّة في هٰذا الحلف العسكري أصلاً بطبيعته. ولٰكن عَبْرَ ما مضىٰ لم يكن إلا ممارسات في الخفاء وبدهاء لإبقاء تركيا مشلولةً وعاجزةً وغارقةً في الأزمات، حَتَّىٰ أوباما الذي جاء في زمن جنون الغرب في التَّعامل المعادي مع تركيا لم نجد السياسة الأمريكيَّة في عهده ضدَّ تركيا تخرج من كواليس الدَّهاء إِلىٰ التَّصريح والعلن، ولٰكنَّ ترامب فعل ذٰلك عَلىٰ الفور وأدىٰ إِلىٰ انهيار الليرة التركية بل وأَعلن صراحةً أَنَّهُ المسؤول عن ذٰلك. وللأمانة والتاريخ أبيِّن هنا أن من أدىٰ إِلىٰ انهيار الليرة التركية هو السعودية والإمارات فاعلاً ومديراً حقيقيًّا وممولاً للحملة عَلىٰ الليرة التركية، وبالشراكة الأمريكية

الخليجية طلبوا من ترامب أن يعلن تبنيه ذٰلك حَتَّىٰ لا يحقد المسلمون عَلىٰ السعودية والإمارات، وكان لأمريكا دور في ذٰلك من خلال تحكمها ببرمجيات البورصة العالمية... وهٰذا ليس موضوعنا الآن عَلىٰ أي حال.

لا شكَّ في أنَّ ترامب فجٌّ منذ ما قبل وصوله إِلىٰ الرِّئاسة بزمنٍ، وقد رأينا وسمعنا له الكثير من التَّصريحات التي تؤكِّد هٰذه الحقيقة تأكيداً قاطعاً، ولٰكن عندما يكون رئيس دولة بحجم أمريكا فالواجب الالتزام والتَّقيُّد، ولٰكنَّهُ لم يتقيد. لم يتقيد لأنَّ المعطيات عَلىٰ السَّاحة العربيَّة والغربيَّة أدَّت إِلىٰ انكسار القيود وخروج الشَّياطين من قماقمها والتَّصرف العلني الواضح.

هٰذه الصَّراحة التَّرامبيَّة لم تَبْقَ وحيدةً بحالٍ من الأحوال فقد خرجت أكثر الدُّول الغربيَّة عن تفكيرها الصَّامت وبدت أفعالها واضحةً صريحةً وإن بقيت الأقوال عَلىٰ درجاتٍ متباينةٍ من التَّحفُّظ والتَّأنِّي والدَّهاء إن صحَّ التَّعبير، ولٰكنَّ ذٰلك كلَّه لم يُجْدِ فِي ظِلِّ وضوح الأفعال.

ليس من الضَّروري أن يكون ترامب بهذه الصَّراحة والوضوح كي نفهم العقليَّة الغربيَّة في تعاملها مع الشَّرق عامة والمسلمين خاصَّة والعرب عَلىٰ أخصِّ الخصوص. فلا تنخدعوا بالتَّصريحات التي صنع بها الغرب أوهامنا وما زلنا مع الأسف متعلِّقين بأهداب تصريحات خدَّاعةٍ مع وضوح المنطق عَلىٰ الأقل. ومن ثُمَّ فإنَّ ترامب ليس علامةً فارقةً في تاريخ السِّياسة الغربيَّة من ناحية الممارسة والفجور في الممارسة وإنَّما هو علامةٌ فارقةٌ في أَنَّهُ يفكِّر بصوتٍ عالٍ لا أكثر. لا يختلف ترامب في المبدأ ولا في الشَّكل ولا في الكليات ولا في التَّفاصيل أبداً، يختلف في شيءٍ واحدٍ هو أَنَّهُ يفكِّر بصوتٍ عالٍ ولا يضع لجاماً عَلىٰ لسانة.

المسألة المهمَّة والأخيرة التي نستجليها من هٰذا العقليَّة الترامبية وهي المتركزة في السُّؤال الكاشف: لماذا لم يلتزم ترامب بآداب الرِّئاسة وأدبيَّاتها؟ الأمر الذي أشرنا إليه قبل قليل. فهو مهما كان فاجراً فإنَّهُ عندما يكون رئيساً فإنَّهُ يجب عليه ما يجب من الأدبيات.

التَّفسير الوحيد في نظري هو أَنَّهُ وَجَدَ في هوان العرب فرصةً تاريخيَّة للثَّأر منهم وتقزيمهم وتحقيرهم وتصغيرهم وتصفيرهم وتسفيههم. فلو وجد حدًّا أدنىٰ للرَّدِّ أو الكرامة أو العزة لما تجرأ عَلىٰ شيءٍ مما فعل بحالٍ من الأحوال. انظر إلىٰ علاقته مع إيران التي تهدِّد أمريكا وتشتم ترامب وتحقره بل وتستفزه... هل قال عنها كلمةً واحدة فيها قلَّة أدب؟

تركيا في ٢٧/ ٩ /٢٠١٩م



*

الفصل الثاني عشر

الدب الأمريكي الأعمى



> ليس ترامب وحده ينطبق عليه هٰذا الوصف، أعني الدَّبَّ الأمريكيَّ الأعمىٰ بل أمريكا ذاتها دبٌّ أعمىٰ اليوم. وَصَفْتُها قبل نحو ثلاثين سنة في كتابي كيف ستواجه أمريكا العالم بالفارس العجوز الذي يعيش عَلىٰ أمجاده السَّابقة وما زال العالم يهابه لسمتعه وتاريخه لا لحقيقة ما هو عليه التي لا يدركها الكثيرون...

ترامب هو بيضة القبَّان التي كشفت هٰذا العوار الأمريكي، وترامب ذاته صورة حقيقيَّة للتَّخبُّط الأمريكيِّ الأعمىٰ مثل الدُّب الأعمىٰ الذي يخبط بكلِّ الجهات فيحطم ويتحطَّم ولا يدرك حقيقة ما يفعل.

أفعلاً لا تدرك أمريكا ما تفعل؟

نعم، وبكلِّ تأكيد. هي تظنُّ أنَّهَا تعمل بدهاءٍ وتفعل ما تفعل بحكمةٍ وحنكةٍ ولٰكنَّهَا في الحقيقة لا تفترق عن الدبِّ الأعمىٰ الذي يؤلم ويتألَّم ولا يميِّزُ بَيْنَ ما يؤلمه ويتألَّمُ منه.

مثل هٰذه التَّناقضات والتَّخبُّطات لا بُدَّ أن تجد في الأمريكان أنفسهم من يسخر منها ويتهكَّم بها، فإن كانوا أكثرهم يضعُ ملحاً عَلىٰ جرح ويصمت فإنَّ

السِّياسي والمحامي الأمريكي كريس مورفي، أمس الثلاثاء ١٥ تسرين الأول ٢٠١٩م، لم يستطع إلا أن يسخر من ترامب قائلاً:

. «لقد أغرى تركيا لدخول سوريا ومهَّد لها الطُّرق وسحب الجيش أمامها وصفق لها... وعندما دخلت تركيا بدأ يفرض عليها العقوبات...». تناقضات وسخاقة وتفاهة فوق الحدود.

أيُّ موضوعيٍّ أدنىٰ حدود الموضوعيَّة من الأمريكان أنفسهم لا بُدَّ أن ينطق بمثل هٰذا المنطق؟ ولٰكنَّهُم أكثرهم كما أشرت يضعون الملح عَلىٰ الجرح ويبلعونها بصمت.

لا أريد الإفاضة في الحديث لأني سأقتطع مشهد التَّدخل التُّركي وتخبُّطات ترامب في كلِّ تصريحاته وسلوكاته في هٰذا الشَّأن، ولٰكن لا بُدَّ من التَّعريج قبل ذٰلك عَلىٰ الدُّبِّ الأمريكيِّ بوصفه مجمل الدِّبلوماسيَّة الأمريكيَّة اليوم. وأقف فقط عند ثبوت إدانة ترامب قطعيًّا بالخيانة العظمى والسُّكوت عَلىٰ ذٰلك تلافياً للفضيحة وبقاء ترامب حاكماً والعجز عن إيجاد مخرج لتنحيته، فاخترعوا تهمة التَّخابر مع الرَّئيس الأوكراني باباً لتنحيته، عَلىٰ الرَّغْمِ من أن ما فعله مع الرئيس الأوكراني أَنَّهُ يأمره كعسكريٍّ عنده وهٰذا فخر له ولهم لا خزي يستحقُّ عليه العقاب.

وأمَّا السِّياسة الأمريكيَّة بالمجمل فتتجسَّد في قرارات الرَّئيس غالباً، ولا أستطرد في الدُّببيَّة التَّرامبيَّة منذ ما قبل وصوله إلىٰ السُّلطة بدعم وتمويلٍ من الإمارات والسُّعودية إلىٰ جانب ما له من عنده. وإنَّمَا فقط أبدأ مع الأيام الأخيرة التي أشرت إليها قليلاً في مقال سابق، ولٰكنَّهَا تعاظمت عَلىٰ نحوٍ استحقَّت معه أن أفرد لها مقالاً.

مما تجب الإشارة إليه للضَّرورة هو أنَّ تركيا شريكٌ لأمريكا في النَّاتو وهي عضوٌ مؤسِّس إِلىٰ جانب أمريكا للناتو، وهي ثاني أكبر قوَّةٍ في الناتو... وفوق ذٰلك تركيا هي المشارك الوحيد لأمريكا في صناعة وتطوير الطَّائرة الشَّبح ف ٣٥... فهل توجد أوثق من هٰذه العلاقة؟

وفي المقابل فإنَّ إيران عدوُّ أمريكا باللسان الأمريكي وباللسان الإيراني.

ومع ذٰلك أمريكا سمحت وما زالت تسمح لإيران بالتَّغلغل العسكري والاقتصادي والاحتلال الرَّسمي لسوريا منذ ثمان سنوات مع ما بَيْنَ سوريا وإيران من مسافات، ومع اقتراب إيران من إسرائيل وإيران تهدِّد كلَّ يوم بمحوٍ إسرائيل من الوجود.

والصورة أكبر من ذٰلك، ولٰكن ذٰلك يكفي، مع ذٰلك فإنَّ أمريكا منذ سبع سنوات وهي تدعم الأحزاب الانفصاليَّة الكرديَّة شمال سوريا بل أعلنت أنَّهَا ستموِّل وتدعم نشر هٰذه الميليشيات عَلىٰ طول الحدود السُّوريَّة الشَّماليَّة لإقامة كيانٍ انفصاليٍّ. يعني أنَّ أمريكا تعتدي عَلىٰ صديقها وشريكها وسندها وتحمي عدوها إيران؛ إيران التي تريد أن تمحوها هي وإسرائيل من الوجود وتصرخ صباح مساء ثلاث مرات قبل الطعام وبعد الطعام: الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل.

تركيا منذ ثلاث بل أربع سنوات عَلىٰ الأقل وهي تحذِّر أمريكا من مغبة هٰذا السلوك تجاه دعمها الانفصاليين الأكراد، وتدعوها لتصليح ما اقترفته بحقِّها، ولٰكنَّهَا لم تفعل إلا مزيداً من العتوِّ ودعم أعداء تركيا والذين هم أيضاً أعداء سوريا. حَتَّىٰ فاض بها الكيلُ ولم تجد بدًّا من التَّدخل لحماية أمنها. فماذا كان؟

توافق أردوغان وترامب عَلىٰ العمليَّة العسكريَّة التُّركيَّة في سوريا لإقصاء الميليشيات الكرديَّة الانفصاليَّة عن الشَّمال السُّوري، وعَلىٰ الفور أعلن ترامب عن سحب الجيش الأمريكي من الشَّمال السُّوري وتحديداً من الأماكن التي سيدخلها الجيش التركي. ورحَّب ترامب بالعمليَّة وربَّما أشاد بها... ولٰكنَّهُ في اليوم ذاته أضاف تصريحاً مناقضاً لكلِّ ترحيباته وهو أنَّهُ سيدمِّر الاقتصاد التركي كما فعل من قبل إذا تجاوزت حدودها. أمرٌ أعجب من العجب. ما هي هٰذه الحدود؟ لا أحد يعرف المقصود.

الأعجب من ذٰلك تماماً أن جحافل السِّياسيين الأمريكيين من مختلف الجهات والانتماءات التي تصفِّق دائماً لسحب الجيش الأمريكي من أي مكان من ومن الخارجيَّة والكونجرس والشيوخ وغيرهم... كلُّهم يرحِّبون بعدم تورُّط الولايات المتحدة بحروبٍ خارجيَّة ويسرُّون بسحب الجيش الأمريكي من أيِّ منطقة نزاع... ولٰكنَّهُم كلهم شنُّوا هجوماً عَلىٰ ترامب لأَنَّهُ سحب الجيش الأمريكيَّ من شمال سوريا. هم كلُّهم يريدون تركيا ولا يريدون انتقاد سحب الجيش الأمريكي، ولٰكنَّ العهر متأصل. هٰؤلاء أنفسهم لم يوجد بَيْنَهم واحدٌ ينتقد التَّدخل الإيراني في سوريا وإيران العدو الأكبر لأمريكا وإسرائيل.

مثل كلاب الليل الجائعة استمرَّ نباح كلِّ السِّياسيين الأمريكيين من مختلف الانتماءات ضدَّ ترامب لأنَّهُ سحب الجيش الأمريكي من شمال سوريا وترك الميليشيات الكردية من دون حماية، والميليشيات الكردية فيما لا يجهله أحدٌ جزءٌ من الحزب الذي تعتبره أمريكا ذاتها منظمةً إرهابيَّةً. وأكرِّر هم لا يفعلون ذٰلك

حبًّا بالأكراد ولا دفاعاً عنهم وإنما استياء من دخول تركيا إِلىٰ سوريا لمنع تقسيم سوريا. ترك أمريكا لحلفائها عادة لا يجهله متابع ولا أحصي تابع البحث بنفسك. إذا ليس حرجاً من سمعة أمريكا كما يوحون.

وفي اليوم الأوَّل كتب ترامب في تغريداتٍ متوالية:

ـ «الولايات المتحدة كان من المفترض أن توجد في سوريا لثلاثين يوماً فقط، وقد كان ذٰلك منذ أعوام عديدة. لٰكنَّنا بقينا وانخرطنا أكثر وأكثر في حرب بلا هدف في الأفق».

وعن الأكراد قال ترامب: «لقد حارب الأكراد معنا، لٰكنَّهُم حصلوا مقابل ذٰلك عَلىٰ كميات هائلة من الأموال والمعدات».

وأضاف ترامب أيضاً: «بعد نحو ثلاث سنوات، لقد حان الوقت لكي نخرج من تلك الحروب التي بلا نهاية، وأن نعيد جنودنا إِلىٰ الوطن».

وتابع أيضاً: «سنحارب أينما كان لنا في الحرب منفعة. وسنحارب لننتصر لا غير. تركيا وأوروبا وسوريا وإيران والعراق وروسيا والأكراد يتعيَّن عليهم الآن أن يجدوا حلولاً للموقف».

أمَّا البيت الأبيض فقال في بيان أصدره يوم الأحد ٨ تشرين الأول أي قبل يوم من العملية: «تركيا ستمضي قدماً قريباً في عمليتها، المخطَّط لها منذ فترة طويلة شمالي سوريا». وأضاف هٰذا البيان: «لن تدعم القوات الأمريكيَّة العمليَّة أو تشارك فيها، ولن تكون قوات الولايات المتحدة، بعد أن هزمت خلافة تنظيم الدولة، في المنطقة التي تجري فيها العملية».

كلُّ ذٰلك يوحي بمدىٰ الرِّضىٰ الأمريكي عَلىٰ العمليَّة وتمهيدها لها. ماعدا الإضافة التَّرامبيَّة السَّابقة بأنَّهُ سيدمر الاقتصاد التركي إذا تجاوزت تركيا حدودها.

في اليوم الأول سارت التَّصريحات في هٰذا السياق...

في اليوم الثاني أعلن وزير الخزانة بأنَّ ترامب أعطاهم تفويضاً بفرض العقوبات عَلىٰ تركيا...

وفي اليوم الثالث سارت التَّصريحات ذاتها وترافق معها بدء فرض حزمة من العقوبات عَلىٰ تركيا...

في التَّالي استمرَّت التَّصريحات ذاتها وأضيف إليها رغبة ترامب وبعض المسؤوليين الأمريكان بزيادة العقوبات... وبدأ التَّهديد لتركيا والتَّلويح بالتَّدخل بناء عَلىٰ طلب الأكراد والأهالي وهلمَّ سحطاً وشحطاً ومخطاً...

ووصل الأمر أمس إلىٰ بدء بوادر تدخل أو ما يشبه تهديداً بالتَّدخُّل فقد قال مسؤول أميركي: إن طائرات عسكرية تابعة لبلاده حلَّقت في استعراض للقوَّة في سوريا لتفريق قوَّات مدعومة من تركيا قرب جنود أميركيين.

واليوم الأربعاء ١٦ تشرين الأول ٢٠١٩م تصاعد الجنون الأمريكي تصاعداً عجيباً في ساعات المساء وفق توقيتنا. فقد خرجت السَّفيرة لأمريكيَّة في الأمم المتحدة من الاجتماع المغلق لمجلس الأمن لمناقشة الدُّخول التركي إلىٰ سوريا لتعلن بوقاحة منقطعة النَّظير إنَّ تركيا تهدِّد الاستقرار في المنطقة وتستهدف المسيحيين. وهٰذا كذب صريح بطبيعة الحال.

ألا يخجل أيُّ أمريكيٍّ من مثل هٰذا الكذب؟

بل الأوقح الأعجب من ذٰلك أنَّ المنطقة غير مستقرَّة منذ ثمان سنوات وفي حالة فوضًىٰ عجيبةٍ لا مثيل لها، والأعجب من ذٰلك أنَّ ذٰلك بسبب السِّياسة الأمريكيَّة في المنطقة وبإدارة أمريكيَّة... وفجأة وبسبب ساعات من التَّدخل الأمريكي تمَّ تحميل تركيا مسؤوليَّة الفوضىٰ!!

أي شيء أعجب من ذٰلك؟!

وتابعت السفيرة بإملاء الأوامر عَلىٰ تركيا بوجوب وقف إطلاق النار حالاً...

وقاحةٌ منقطعة النَّظير.

الوقاحة الأشدُّ من ذٰلك كانت بعد دقائق من قِبَلِ وزير الخارجيَّة الأمريكيِّ جورج بومبينو الذي بدأ بقوله: «زيارتنا إِلىٰ تركيا تهدف إِلىٰ إيجاد حلٍّ في سوريا لا إِلىٰ الإضرار بعلاقاتنا مع تركيا». هٰذا بغضِّ النَّظر عن تاريخ أمريكا الأسود عَلىٰ الأقل في السَّنوات السَّبع المنصرمة في الإضرار بالمصالح التركية... ناهيك عن أنَّ أمريكا لم تفكر لحظة في حل المأساة السورية منذ ثمان سنوات وفيها ما فيها من المعطيات، ولن أقول إنها هي التي ساهمت في دمار سوريا وقتل أهلها وتشرد من بقي حيًّا منهم... فقط عندما دخلت تركيا لحماية أمنها القومي صارت أمريكا حريصة عَلىٰ إيجاد في سوريا، ويقيني أنَّهَا كاذبة في ذٰلك لأَنَّهُ حريصة عَلىٰ استمرار دمار سوريا وقتل أهلها وتشريدهم... ولٰكنَّهَا بهذا التَّصريح تريد إحراج تركيا والضغط عليها. ولا بُدَّ من التذكير في الوقت ذاته بصمتها عَلىٰ التغلغل الإيراني في سوريا وإيران تعلن العداء لأمريكا ليل نهار. إنها الحرب عَلىٰ الإسلام ونقطة انتهى.

المهم هو أَنَّهُ بعد هٰذا الكلام عَلىٰ الفور يصل إِلىٰ ذروةٍ من ذرىٰ الوقاحة الكثيرة التي تتمتَّع بها السِّياسة الأمريكيَّة إذ حمَّل أيضاً تركيا مسؤوليَّة الفوضىٰ في المنطقة. المنطقة عَلىٰ صفيح يغلي منذ ثمان سنوات وفوضىٰ عارمة في المنطقة، ونصف دول العالم تسم في الفوضى في سوريا وعَلىٰ رأسها إيران التي تظهر عداءها الشَّديد لأمريكا وإسرائيل، ولم ترى أمريكا الفوضة، ولٰكن فقط لأن تركيا تدخَّلت وبضمانات كثيرةٍ للجميع منهم أمريكا فقد تمَّ تحميلها مسؤوليَّة الفوضىٰ وعدم الاستقرار، إنَّهَا الوقاحة والفجور والنذالة في ذروة تجلياتها.

بل وتصل الوقاحة منتهاها في ذروةٍ أُخرىٰ من ذرىٰ الوقاحة الأمريكيَّة عَلىٰ لسان ترامب ذاته الذي أعطى الضَّوء الأخضر لتركيا بالعمليَّة فقال أوَّل ما قال: إِنَّهُ لم يتفاجئ بالعمليَّة التركيَّة. إِنَّهُ عَلىٰ علمٍ بها وقد سَحَبَ جنوده لتيسير دخول تركيا. وتابع بأَنَّهُ إذا لم يصل أردوغان مع نائبه مايك بينس إِلىٰ اتِّفاق فإِنَّهُ سيفرض عقوبات كارثيَّة عَلىٰ الاقتصاد التركي. وهو قد بدأها فعلاً وسيتابعها فعلاً حَتَّىٰ ولو أوقفت تركيا التَّدخُّل في سوريا... أصلاً هو دمَّر الاقتصاد التُّركي منذ سنتين ولم يتوقَّف عن التَّلاعب بسعر صرف الليرة التُّركيَّة ولم يكن هناك تدخُّل تركي في سوريا.

فعل ترامب ذٰلك ويفعله عَلىٰ الرَّغْمِ من اعترافه بأنَّ الأكراد خدعوه، وبأَنَّهُ أنفق عليهم مليارات الدولارات، وعَلىٰ الرَّغْمِ من أَنَّهُم وعدوه بعدم إطلاق سراح مساجين الدَّولة الإسلاميَّة فقد خانوا الوعد وأطلقوا سراحهم لجرِّ أمريكا إِلىٰ المعركة كما قال هو ذاته، ولم يعاقبهم ولن يعاقبهم... وسيتهم تركيا بإطلاق سراح مساجين الدَّولة الإسلاميَّة.

ويختم ترامب مساء هٰذا اليوم الأربعاء بتسريب رسالته إِلىٰ أردوغان المليئة بالوقاحة والسَّفاهة غير المسبوقة في تاريخ الدبلوماسيَّة، خطاب استفزاز مليء بالوقاحة وقلَّة الأدب: «لا تكن أحمقا، وتخاطر بنفسك في معركة سوريا، لأنَّ التَّاريخ سيذكرك كشيطان». ولقد خلت هٰذه الرسالة من أيٍّ من مجاملات الدبلوماسيَّة، وتضمنت تهديدات مباشرة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وكانت شديدة اللهجة، غير معهودة في الرسائل الرسمية.

الحقيقة أني اكتفيت بمشاهد سريعةٍ وخاطفةٍ، تلميحات صغيرة فقط لمدىٰ التَّناقض والتَّخبُّط الذي تعيشه أمريكا في الآونة الأخيرة، وهٰذا ما لم تعشه أمريكا من قبل أبداً ولا في أيِّ مرحلةٍ.

هل يعقل أن أمريكا لا تعرف ماذا تفعل؟

لا، إطلاقاً إِنَّهَا تعرف ماذا تفعل، ولٰكنَّهَا لا تستطيع أن تفعل غير هٰذه التَّناقضات التي تضعها في موضع السخرية. هي عاجزة عن منع تركيا ولا تستطيع إلا مواجهة تركيا، تركيا هي العدو الحقيقي وليست إيران. ثلاثة أرباع القرن وتركيا وأمريكا وأوروبا شركاء في حلف واحد وعبر ثلاثة أرباع القرن من الشراكة والحلف الواحد لم تحظ تركيا بالثقة لا من أوروبا ولا من أمريكا... ولن تحظىٰ.

وعَلىٰ سبيل المثال منذ ثلاث سنوات وفرنسا تناقش مشروع تعليق بيع الأسلحة للسعوديَّة بسبب تدخلها في اليمن وحَتَّىٰ الآن لم تصل إِلىٰ قرار... بَيْنَما خلال ٢٤ ساعة من تدخل تركيا في سوريا قررت قطعيًّا تعليق بيع كل التجهيزات لعسكرية لتركيا. وكذلك أمر ألمانيا نسخة طبق الأصل تماماً وتلتها أيطاليا... ولا تنس الهيجان الأوروبي والأمريكي معه بطبيعة الحال ضدَّ تركيا منذ

بدء العمليَّة، العالم الغربي كلُّه يغلي وكأنَّهُ يتراقص في حمم فوهة بركان ثائر. ولا نستعرض تفاصيل التَّصريحات الأوروبيَّة في هٰذا الشَّأن فهي أكثر من أن يجمعها كتاب، ناهيك عن الإجراءات.

حَتَّىٰ أوروبا فقدت توازنها في هٰذا الشأن تحديداً. بالكاد تخلو ساعة من ساعات اليوم منذ يوم بدء العلميَّة التركية إِلىٰ هٰذه اللحظة من تصريح استفزازي وتهديد ووعيد وحَتَّىٰ قرار عقوبات.

المهمُّ في الأمر أنَّ الدُّب الأمريكيَّ الأعمىٰ هو دُبٌّ أعمىٰ حقيقة. تناقضاته مضحكةٌ تدعو إِلىٰ السُّخرية. وهٰذه التناقضات التي كان ترامب محرقتها تعبير عن مَدَىٰ العجز الأمريكي وقلَّة الحيلة ونفاذ الرصيد.

صحيح أنَّ أمريكا أكبر قوَّةٍ ضاربةٍ في العالم ولا يمكن أن ننكر ذٰلك، وتستطيع محو دولةٍ عن وجه الأرض بساعات، نعم أيضاً هٰذا صحيح، ولٰكنَّهَا كما شبهتها منذ نحو عشر سنوات في كتابي؛ عالم مجنون: المضحك المبكي في السِّياسة الأمريكية، هي مثل شمشون بيده الهراوة وحوله الأعداء ولٰكنَّهُ مصاب بالإسهال والنَّفخة... أي حركة يحركها تفرطه مثل الرمانة إذا فلقتها وأعطيتها كبسة.

تركيا في ١٦/ ١٠/ ٢٠١٩م



*

الفصل الثالث عشر

عتيق الغرب
جديد ترامب


O'LOUGHLIN '16

كثيرون يعتقدون أنَّ ترامب يغرِّد خارج
السِّرب، أو أَنَّهُ استثناء في قادة الولايات
المتحدة الأمريكيَّة. وهو ليس كَذٰلكَ باعتبار
الأصل، وكَذٰلكَ باعتبار التَّفرُّد بخصوصيَّته
الشَّخصيَّة.

أمَّا تفرُّده بخصوصيَّته الشَّخصيَّة فهو في وقاحته في وضوحه وصراحته، متجاوزاً الأعراف والدِّبلوماسيَّة وضرورات السِّريَّة، وفي ارتجالاته في أحكامه وقراراته والتَّسرُّع في التَّصريح بها دون التَّلميح مهما كانت طبيعتها من الصِّحَّة أو الخطأ أو البعد أو القرب عن خطوط السِّياسة الأمريكيَّة.

أمَّا أَنَّهُ ليس استثناءً فهو لأَنَّهُ كَبُرَ أم صغر، طال أم قَصُرَ، ليس إلا حلقة في مسلسل رؤوساء الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ينفذون عَلىٰ رغم أنوفهم عن يدٍ وهم صاغرون سياسة الدَّولة. ليس ترامب، في هٰذا السِّياق، استثناءً بحالٍ من الأحوال، ولا يمكن أن يغرِّد خارج سرب السِّياسة الأمريكيَّة المرسومة في كواليس صناعة القرار. ولـذٰلكَ نجده بعدما يرتجل قراراً أو موقفاً يتنافىٰ أو يتنافر أو يتعارض مع مخطَّط الكواليس يتراجع عَلىٰ الفور ورُبَّما بعد ساعة أحياناً إمَّا بخطوةٍ واحدةٍ أو بالتَّدريج والتَّربيع والتَّدوير خلال يوم واحدٍ أو اثنين لا أكثر. وأمَّا ما لا يتراجع عنه مما يبدو متناقضاً مع جوهر السياسة الأمريكيَّة فإنَّهُ في الحقيقة

يبـدو لا أكثـر أَنَّـهُ متنـاقض فيمـا هـو في الحقيقـة غـير متنـاقض، وفي أسـوأ الاحتمالات فإِنَّهُ ليس من الأوليَّات ولا الأولويَّات التي تفرض عَلىٰ الكواليس إجبار الرَّئيس عَلىٰ التَّراجع والتنفيس.

الرَّئيس الأمريكي في المحصِّلة موظف في دولة الولايات الأمريكيَّة، وهو كما يقولون في العالم الغربي أكبر موظف في الدَّولة. له مهمة وفق مسطرة صلاحيَّات وسلة أولويات، ولا يحق له أن يغرِّد خارج السِّرب بحالٍ من الأحوال. نعم له هوامش صلاحيَّات وحرية حركةٍ كبيرةٍ بوصفه رئيساً، وهٰذا ما لا يمكن إنكاره، ولٰكنَّهُ ليس مثل أيِّ رئيس في العالم الثالث يتصرف عَلىٰ هواه من دون قيدٍ ولا ضابط أو من دون رسن ولا رابط...

وَلِذٰلكَ فإنَّ الهوامش الممنوحة للرَّئيس الأمريكيِّ مهما بلغت من الحريَّة وانفتاح الآفاق فإِنَّهَا لا تتيح له بل لا تجيزُ له أن يتجاوز مخطَّطات سياسة الدَّولة التي ترسمها وتديرها وتحميها مؤسَّسات دستوريَّة محصَّنة عَلىٰ رأسها الكونجرس ومجلس الشِّيوخ، وإِلىٰ جانبها ومن خلفها المؤسَّسات الاقتصاديَّة والأمنيَّة.

في الثَّالث عشر من شهر تشرين الثاني ٢٠١٩م التقى الرَّئيس الأمريكيُّ بالرَّئيس التركي رجب طيب أردوغان، وعقب اللقاء أبدى الرَّئيس الأمريكي ترامب إعجابه بالرئيس التركي، وسروره بلقائه، وسعادته بصداقته، وتقديره لرجولته... وفي اليوم التَّالي للقاء قال: «لقد أصدرت أوامري لوزارة الخزانة برفع العقوبات الأمريكيَّة المفروضة عَلىٰ تركيا».

ولٰكنَّ أحداً لم يلتزم بكلامه ولم يتم الالتزام بقراره، ولم تُرفع العقوبات عن تركيا، بل وَعَدَ المشرِّعون الأمريكيِّون بعقوباتٍ جديدة، وفعلاً استمرت أمريكا

بفرض عقوبات جديدةٍ، ولم تقل أبداً حدَّة التَّوتُّر بَيْنَ تركيا والولايات المتحدة بل هي في ازدياد. ولكن ترامب نفسه فرض عقوبات كثيرة عَلىٰ الصِّين بالقول والتَّشريع... ولٰكنَّ شيئاً لم يتغيَّر في العلاقات والتَّعاملات مع الصين؛ عقوبات ريق رئاسي عَلىٰ ورق سياسي.

ألهذه الدرجة لا قيمة لقراره؟

نعم، إِلىٰ هٰذه الدَّرجة لا قيمه لكلامه ولا لتوجيهاته ولالتعليماته ولا لقراراته... ولا حَتَّىٰ لغيره من الرؤساء، إذا كان يتعارض مع مخطَّطات الكواليس الأمريكيَّة. وهٰذا واحدٌ من الأمثلة المهمة الفاضحة لقيمة الرئيس الأمريكي إذا أراد أن يغرِّد خارج السِّرب. الموقف الأمريكي من تركيا موقفٌ مبدئيٌّ وليس مرحليًّا، وليس خاضعاً لمزاج هٰذا الرئيس أَو ذاك أو مشاعره أو رغباته... اللهم إلا إذا انسجم مع موقف الدولة الرَّسمي الحقيقي.. وإن بالغ الرئيس قليلاً أو كثيراً فلا بأس، بشرط أن تكون المبالغة الزائدة ضمن الحدود المسموح بها.

في هٰذا السِّياق لنذهب إِلىٰ الموقف من إيران لنرى عدم السَّماح بالمبالغة الزائدة. ظاهر العلاقات بَيْنَ الولايات المتحدة وإيران هو العداء، وترامب فيما يبدو يكره إيران ويتحفَّز لخنقها وحَتَّىٰ شن الحرب عليها. هٰكَذا يبدو. ولا ندري حقيقة مشاعرة ولا معارفه في هٰذا الشَّأن، ولٰكنَّ معارف كواليس صناعة القرار الأمريكي لا تسمح بشنِّ حربٍ عَلىٰ إيران ولا حَتَّىٰ إضعافها، ولا الوصول إِلىٰ مرحلة إضعاف سلطة الملالي. وَلِذٰلكَ في ظلِّ التَّهديدات التَّرامبيَّة كلِّها لإيران كان يخرج عَلىٰ الفور مسؤولٌ أمريكيٌّ رفيعٌ من طراز وزير الخارجية أو وزير الدفاع أو من في حكمهما ويطمئن إيران، ويعلن عدم رغبة أمريكا في محاربة إيران، حَتَّىٰ

استحالة الحرب مع إيران، وعدم رغبة أمريكا في تهديد السلطة الإيرانيَّة، ولا الانقلاب عليها... وهلم جرًّا وجرًّا مما بات معروفاً لدىٰ المتابعين والمهتمين جميعاً، وحَتَّىٰ العوام أكثرهم. وقد رأينا كم مرَّة اعتدت إيران علناً عَلىٰ مصالح أمريكيَّة حَتَّىٰ وصل الأمر إِلىٰ إسقاط طائرة أمريكيَّة وقبلها أسر جنود أمريكيين من البحر... ومع ذٰلك لم ترد أمريكا عَلىٰ هٰذه الاعتداءات، بل حَتَّىٰ طريقة النظام السوري في الاحتفاظ بحقِّ الرد لم توجد في الأجندة الأمريكيَّة في التعامل مع الاعتداءات الإيرانيَّة عَلىٰ المصالح الأمريكيَّة، لم يعلنوا أبداً احتفاظهم بحقِّ الرَّدِّ، ولم يصدر أيُّ تلميحٍ بأنَّهُم سيردُّون أو يثأرون... علماً أَنَّهُ لو صَدَرَ مثل أقلِّ اعتداء إيرانيٍّ عن دولة غير إيران لمسحتها أمريكا عن وجه الأرض... أستثني مقاومي الاحتلال الأمريكي لأَنَّهُم شيءٌ آخر.

للبيان والتَّوضيح: هٰذا شأن أيِّ رئيسٍ أمريكيٍّ وليس ترامب وحده، ولا تتفاجأوا إذا علمتم أنَّ أوباما الرَّئيس السَّابق عَلىٰ الرَّغْمِ من حكمه ولايتين فإِنَّهُ كان بحكم المحجور عليه رئاسيًّا لأَنَّهُ كان موضع شكٍّ وعدم ثقة بسبب أصوله المسلمة، وستكشف الأيام هٰذه الحقيقة؛ حقيقة مَدَىٰ التهميش الذي تعرَّض له أوباما.

الأمر اللافت العجيب هو أنَّ السِّمة الأساسيَّة للسِّياسة الأمريكيَّة عَلىٰ مدار عشرات السنين المنصرمة، وخاصة في الثَّلاثين سنة الأخيرة، هي: الكوميديا السِّرياليَّة في القرارات التي تتَّخذها في معاقبة شخصيَّات أو حكومات أو مؤسَّسات. عَلىٰ مدار ثلاثين سنة عَلىٰ الأقل لم تخل سياسة رئيس أمريكي من هٰذه العقوبات وهٰذا النَّمط من العقوبات. بل الأصح لم تخل سياسات الدَّولة

الأمريكيَّة من ذٰلك، لأنَّ الرئيس ليس إلا واجهة لا أكثر؛ واجهة لا أكثر وفق ما أبنَّا قبل قليل. بل الأعجب أَنَّهُ بالكاد يخلو شهر من قائمة أسماء أو شركات أو دول أو كلها معاً تفرض عليها الحكومة الأمريكيَّة عقوبات.

ولماذا هٰذه العقوبات؟

بعضها يمكن تفهمه وليس تقبُّله بالضَّرورة؛ يمكن تفهُّم العداء الأمريكي لهذا البلد أو ذاك، وتعرُّض المصالح الأمريكيَّة للضَّرر من هٰذا الطَّرف أو ذاك، وضرورة اتِّخاذ إجراءات وقائيَّة لحماية المصالح الأمريكيَّة... كلُّ ذٰلك يمكن تفهمه.

ولٰكن ما لا يمكن فهمه ولا تفهُّمه ولا قبوله ولا تقبُّله أمران عَلىٰ الأقل:

أولهما صيغة اتخاذ القرارات، مهما كانت محقَّةً أو غير محقَّة فيها. فهي تفرض قوانين العقوبات وكأنَّهَا هي الشَّرعيَّة الدُّوليَّة، وتنطلق من قناعةٍ مفادها أنَّ الجميع يقبل بها أبا شرعيًّا وروحيًّا للعالم. وَلِذٰلكَ عندما تتَّخذُ أيَّ قرار عقوبات ضدَّ أيِّ طرفٍ تفرض عَلىٰ جميع دول العالم الالتزام به والتَّقيُّد بمضمونه... بل المضحك هو أنَّهَا أحيانا تحدِّد من يُستثنى من الالتزام بتنفيذ العقوبات كما حدث في منتصف هٰذا العام عندما حظرت الدُّول استيراد النِّفط من إيران واستثنت بعض الدُّول لعدَّة أشهر.

ثانيهما ولا يقل عجائبية وغرائبيَّة عن الأول هو أنْ تفرض الولايات المتحدة عقوبات من أيِّ نوعٍ عَلىٰ شخصيَّات أو مؤسَّسات أو دولٍ بتهمة انتهاك حقوق الإنسان!!

تخيَّل يا رعاك الله!

الولايات المتحدة الأمريكيَّة التي هي الأكثر والأشد انتهاكا لحقوق الإنسان وكرامة الإنسان في كثير من دول العالم، بل ثَمَّةَ من يقول حَتَّىٰ إنَّهَا تنتهك حقوق الإنسان في داخل الولايات المتحدة الأمريكيَّة ذاتها في التَّجارب العلميَّة الخطيرة عَلىٰ القادمين الأجانب إليها وعَلىٰ اللاجئين... وكَذٰلكَ عَلىٰ الزنوج، الذين هم أمريكيُّون أصليُّون منذ مئات السنين، فما انتفاضاتهم كلَّ بضعة أشهر عَلىٰ انتهاكات حقوق الإنسان والتَّمييز العنصري إلا خير دليلٍ عَلىٰ ذٰلك.

دعك من ذٰلك، لنقتصر عَلىٰ انتهاكها حقوق الإنسان في غيرها من دول العالم. خذ سوريا عَلىٰ سبيل المثال، أحد الأمثلة الحيَّة التي يعيشها الجميع الآن والجميع تقريباً يشهد مَدَىٰ الانتهاك الأمريكي لحقوق الإنسان فيها. كان أوباما ديبلوماسيًّا ورقيقاً وراقياً في تصريحاته لصالح الثَّورة السُّوريَّة والشَّعب السُّوري... ولٰكنَّهُ وفق التَّسريبات التي انتشرت مؤخَّراً، والحقيقة أنها تسربت عَلىٰ دفعتين؛ الأولى تمهيديَّة ظهرت منها الحقيقة تقريباً، والثَّانية كانت واضحةً صريحةً، تكشف عن اتصالاته الكثيرة مع الرئيس الروسي بوتين وهو يناشده التدخل لحماية النِّظام السُّوري وقمع الثَّورة السُّوريَّة... ورُبَّما قال له: «لأنَّ أمريكا لا تستطيع أن تفعل ذٰلك حرصاً عَلىٰ سمعتها... وحرصاً عَلىٰ سمعة النِّظام».

منذ بداية الثَّورة كانت هٰذه التواصُلات والمناشدات وليست متأخرة. وفي هٰذا ما يفسِّر لنا دخول روسيا موسوعة غينيس للأرقام القياسيَّة باستخدام الفيتو ضدَّ قرارات إدانة النِّظام السُّوري، وضدَّ أيِّ قرار أمميٍّ لدعم الثورة... وهنا نتذكر

قول المحللة السِّياسية الروسية إيلينا سوبولينا عام ٢٠١٣م عَلىٰ قناة الجزيرة: «لا تلومو روسيا عَلىٰ استخدام الفيتو، هٰذه إرادة أمريكيَّة. لو كانت أمريكا تريد تمرير القانون لمر... ولٰكنَّ أمريكا هي التي لا تريد».

فماذا فعل ترامب بعد أوباما في هٰذا الشَّأن؟

ها هي تمضي سنواته الأربع تقريباً ولم يفعل شيئاً سوىٰ مزيد من انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا. حسبك ما كان قبل بضعة أشهر عندما قتل الطيران الأمريكي ليس أقلَّ من ثلاثة آلاف وقيل حسب الشُّهود المحليين أكثر من خمسة آلاف مدنيٍّ في منطقة الباغور بدير الزور بذريعة محاربة الدَّولة الإسلاميَّة.

لا نعدُّ فالسلسلة طويلة يصعب حصرها، حسبك أن اليهودي الفرنسي آلان غريش قال قبل تمام عشرين سنة: «لو أنَّ أمريكا جلست عَلىٰ كرسي الاعتراف لتعترف بجرائمها خلال القرن العشرين لأمضت القرن الحادي والعشرين كلَّه عَلىٰ كرسي الاعتراف».

الأعجب من ذٰلك أَنَّهُ كلَّما فرضت الولايات المتحدة عقوبات عَلىٰ دولة تنطع وزير الخارجية الأمريكي شخصيًّا ورُبَّما الرَّئيس شخصيا ليعلن: «نحن لا نقصد الشَّعب...نقصد النِّظام»... هٰذا ما حدث تماماً مع فرض العقوبات عَلىٰ العراق. مراراً كرروا، وعَلىٰ رأسهم مادلين أولبرايت وزيرة الخارجيَّة الأمريكيَّة آنذاك: «نحن لا نقصد الشَّعب العراقي... نحن نقصد النظام... نريد تعديل سلوك النِّظام ليتوافق مع الشَّرعيَّة... مع حقوق الإنسان». كان هٰذا قصدهم في العراق عَلىٰ سبيل المثال فقتلوا نحو مليون ونصف طفل عراقي جراء حظر وصول الأدوية إِلىٰ العراق!!!

تخيَّل هٰذه الإنسانيَّة الأمريكيَّة والعقوبات التي تفرضها للدِّفاع عن حقوق الإنسان. ليس ثَمَّةَ أي مبالغة في ذٰلك... ولا إضافة.

ولتعجب أكثر فإنَّ الولايات المتحدة عندما غيَّرت النظام في العراق قتلت نحو مليوني شخص، وتسببوا في هجرة ملايين العراقيين... وارتكبوا أكبر جريمةٍ عبر التَّاريخ بحقِّ العراق والمنطقة كلِّها... بل إنَّ بعضاً من القواد الذين جاؤوا عَلىٰ الدَّبَّابات الأمريكيَّة يتحسَّرون عَلىٰ أيام صدام ويندمون لأنَّهُم كانوا شركاء في وصول العراق إِلىٰ ما وصل إليه.

ترامب إذن ليس علامة فارقة إلا في بهرجته وعنطزته وقلَّة رزانته وانحسار أدبه وتضاؤل آداب سياسته... والغريب أنَّ الانتقال إِلىٰ اللعب عَلىٰ المكشوف المفضوح ليس ترامب من فتح بابه وإنَّمَا الحكام العرب في السعودية والإمارات ومصر هم الذين طلقوا العيب والخجل وحاربوا الدِّين بل الإسلام تحديداً بالجهر والعلن، ولا تعجب إذا علمت أَنَّهُم هم من دعم حملة ترامب الانتخابية عَلىٰ الرَّغْمِ من أنَّ شعار حملته كان محاربة الإسلام والتضييق عَلىٰ المسلمين.

فماذا يمكن أكثر من ذٰلك؟

تركيا في ١٦/ ١٠/ ٢٠١٩م



*

الفصل الرابع عشر

الحقيقة المخفية
وراءمحاكمة عزل ترامب



لنبدأ من الحقيقة المخفيَّة، ونقول: إنَّ محاكمة الرَّئيس الأمريكي دونالد ترامب هٰذه ليست هي الحقيقية، والحقيقة أنَّ وراء هٰذا المعطيات الظَّاهرة أسرارٌ أُخرىٰ أخطر من الأسباب المعلنة، ولا غرو أن نقول إنَّهَا هي الأسباب الحقيقة لمحاكمة ترامب.

ما حقيقة محاكمة ترامب؟

وما الأسرار المخفية وراء هٰذه المحاكمة بهذه الأهداف المعلنة؟

ومن ثُمَّ يمكن طرح الكثير من الأسئلة المهمة منها عَلىٰ سبيل المثال: ما خلفياتها؟ وما أبعادها؟ وما نتائجها؟

لنقف عند بعض الممهِّدات بداية. قبل بضعة أيام وفي الثالث عشر من تشرين الأول عام ٢٠١٩م بدأت الجلسات العلنيَّة في مجلس النُّواب الأمريكي الممهدة لمحاكمة رئيس الولايات المتحدة الأمريكيَّة دونالد ترامب من أجل تفعيل إجراءات عزله.

توجد في هٰذا الخبر ثلاث نقاط أو مسائل أساسية سنبدأ بها لننتقل منها إلىٰ الحقيقة وهي: المحاكمة، والعلنية، والعزل.

أمَّا المحاكمة والشُّروع في عزل الرَّئيس فترامب ليس الأول وليس استثناء في هذين الشَّأنين معاً، دونالد ترامب هو الرَّئيس الرابع الذي يتعرَّض

لهــذين الإجــراءين ولم تــنجح أيُّ محاولــة ســابقة لعــزل الــرئيس بهــذه الإجراءات القانونيَّة، ولنلق نظر خاطفة إِلىٰ المحاولات الثلاث السابقة عَلىٰ محاولة عزل ترامب.

المحاولة الأولى كانت محاولة عزل أندرو جونسون[1] الرئيس السَّابع عشر للولايات المتحدة، وهو من الحزب الديمقراطي. سبب المحاولة أَنَّهُ انخرط في صراع مع الكونچرس الذي كان يسيطر عليه الجمهوريون حينها إثر اتهامه بمخالفة القانون لأَنَّهُ أزاح وزير الحرب الأميركي من منصبه، وفي ذٰلك الحين لم يكن مثل هٰذا القرار من صلاحيَّات الرَّئيس في أعقاب الحرب الأهليَّة. فاتَّخذ الكونچرس قراراً بسحب الثقة منه، ولٰكنَّ مجلس الشيوخ قام بتبرئته بفارق صوت واحد. ومثل هٰذا الإجراء يمكن أن يفهم في سياق زمنه وظروفه إثر انتهاء الحرب الأهلية.

المحاولة الثانية كانت محاولة عزل ريتشارد نيكسون[2] الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة، وهو من الحزب الجمهوري. الحقيقة أَنَّهُ لم توجد مع هٰذا الرئيس إجراءات محاكمة، ولٰكنَّهُم أجبروه عَلىٰ التَّنحِّي والاستقالة في

(١) . أندرو جونسون هو الرئيس السابع عشر للولايات المتحدة، ولد عام ١٨٠٨م وتوفي عام ١٨٧٥م، تولى المنصب من عام ١٨٦٥م إِلىٰ ١٨٦٩م. أصبح جونسون الرئيس بما أَنَّهُ كان نائب الرئيس في زمن اغتيال أبراهام لينكولن. كان جونسون ديمقراطيا ودخل الانتخابات مع لينكولن على بطاقة حزب الاتحاد الوطني، وتولى الرئاسة في مع نهاية الحرب الأهلية.

(٢) . ريتشارد ميلهاوس نيكسون هو الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة، ونائب الرئيس الأمريكي السادس والثلاثون، ولد عام ١٩١٣م وتوفي عام ١٩٩٤م، تولى المنصب من عام ١٨٦٩م إِلىٰ ١٨٧٤م. كان زعيماً للتيار العالمي داخل الحزب الجمهوري. كما عمل بالسابق سيناتوراً وممثلاً عن الحزب الجمهوري في كاليفورنيا.

عام ١٩٧٤، قبل ما يقرب من ثلاث سنوات من انتهاء فترة رئاسته الثانية، لثبوت تورطه في فضيحة تجسس عناصر من الحزب الجمهوري عَلىٰ المقر الرئيسي للحزب الديمقراطي في واشنطن، وهو ما عرف بفضيحة ووترچيت. وَلِذٰلكَ ثَمَّةَ اختلاف في تصنيف هٰذه الحالة ضمن حالات محاكمة الرؤساء الأمريكيين. وعَلىٰ أيِّ حالٍ فإنَّ ووترچيت أشهر فضيحة سياسية في تاريخ الولايات المتحدة؛ أدت إِلىٰ استقالة الرئيس نيكسون من منصبه ليصبح الرئيس الوحيد المستقيل في تاريخ البلاد حَتَّىٰ الآن.

المحاولة الثالثة كانت محاولة عزل بيل كلينتون[٣] الرئيس الثاني والأربعون للولايات المتحدة، وهو من الحزب الديمقراطي. قام الكونچرس أي مجلس النواب الأمريكي بإقالته في ١٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٨م، بتهم الكذب في الحلف وعرقلة سير القانون عَلىٰ خلفية علاقته الجنسية بمونيكا لوينسكي المتدربة في البيت الأبيض. لٰكنَّهُ بُرِّئَ من قِبَل مجلس الشيوخ في ١٢ شباط/ فبراير ١٩٩٩م وأكمل ولايته الرئاسيَّة.

لا أظنُّ أنَّ لانتماء الرئيس الدِّيمقراطي أو الجمهوري علاقة بَذٰلكَ سوى تصادف أن المجلس في الحالات كلها حَتَّىٰ مع ترامب يكون أكثرية من الحزب الآخر. إلا أنَّ المشترك بَيْنَها حنث اليمين ومخالفة الدستور.

---

(٣) . وليام جيفرسون كلينتون هو الرئيس الثاني والأربعون للولايات المتحدة، ولد باسم ويليام جيفرسون بليث الثالث في ١٩ آب/ أغسطس ١٩٤٦م، تولى المنصب من عام ١٩٩٣م إِلىٰ ٢٠٠١م. يعد ثالث أصغر الرؤساء في تاريخ البلاد بعد ثيودور روزفلت وجون كينيدي.

محاكمة ترامب تحضيراً لمشروع قرار عزله لا تختلف في المبدأ عمن سبقه وإن كانت حالته في المبدأ مطابقة تقريباً لحالة الرئيس بيل كلينتون، أي المحاولة الأخيرة السابقة علىٰ محاولة عزله، والتُّهمة هي الكذب وعرقلة سير القانون، مع تهمة الضَّغط عَلىٰ رئيس دولة أجنبية. أمَّا صيغة التهمتين الموجهتين له فهي: «استغلال السلطة، وعرقلة عمل الكونغرس».

دعك الآن من النَّتيجة لأنَّهَا محكومة بتوازنات كثيرة للولايات المتحدة الأمريكيَّة تحديداً وليس فقط برغبة الحزبين الجمهوري والديمقراطي. ناهيك عن الوضع الدولي الحرج للولايات المتحدة وسائر دول العالم في هٰذا الوقت الذي يتراقص فيه العالم عَلىٰ فوهة بركان، حَتَّىٰ لتبلع الكثير من الدول مرغمة مر الألم عَلىٰ أن تفعل ما يجب عليها فعله فتتورط فيما هو أعظم. ولننظر الآن في حقيقة التهمة والتحقيق:

قشرة الموز التي انزلق بها ترامب هي الضَّغط عَلىٰ أوكرانيا للكشف علناً عن تحقيقات بالفساد تقوم بها الحكومة الأوكرانيَّة ضدَّ جو بايدن، نائب الرئيس السَّابق باراك أوباما والمنافس الديمقراطي المحتمل في الانتخابات الرئاسية المقبلة.

الجمهوريون بطبيعة الحال وإن ترشح ونجح ترامب عَلىٰ رغم إرادتهم فإِنَّهُم يرون هٰذه المحاكمة محاكمة لحزبهم، وَلِـذٰلكَ من الطَّبيعي أن ينتقدوا هٰذه الإجراءات لمساءلة ترامب ومحاكمته ومحاولة عزله، وقالوا: «إن العمليَّة برمَّتها تقف وراءها دوافع سياسية». ومن الطَّبيعي في الوقت ذاته أن يقاتل ترامب بأسنانه حَتَّىٰ لا يتعرَّض لهٰذا الخزي والعار؛ عار العزل، وسيكون أول رئيس في تاريخ الولايات المتحدة يتم عزله.

أمَّا أن يحاكم الرئيس الأمريكي، أي رئيس، بتهمة الضغط عَلىٰ دولة أُخرىٰ أيًّا كانت هٰذه الدولة فهذا محض هراء وتخريف، فلا يوجد رئيس أمريكي منذ الحرب العالميَّة الثانية عَلىٰ الأقل لم يضغط عَلىٰ عشرات الدُّول مختلف أنواع الضَّغط والتَّهديد. وَلِذٰلكَ فإنَّ المسألة هنا تتجاوز تصريحات رئيس لجنة التَّحقيق نادلر إذا قال مخاطباً الصحافيين: «إنَّ ترامب يرىٰ نفسه فوق القانون. يجب أن يكون واضحاً أَنَّهُ لا أحد فوق القانون حَتَّىٰ الرئيس نفسه». وَكَذٰلكَ قوله: «إنَّ ترامب متَّهُم بممارسة صلاحيَّات موقعه الوظيفي من أجل تحصيل منفعة شخصيَّة غير لائقة في سياق تغافل أو إضرار بالمصلحة الوطنيَّة، عن طريق الضغط عَلىٰ أوكرانيا للتدخل في الانتخابات الرئاسيَّة المقبلة».

الجملة الأخيرة هي اللغز الأول في المحاكمة ومشروع العزل. وَلِذٰلكَ لا عجب أن يردف نادلر قائلاً: «إنَّ نزاهة الانتخابات الرئاسيَّة المقبلة عَلىٰ حافة الخطر».

ولا بأس من التَّوضيح قليلاً في الحدث الذي أوجب المحاكمة. الحدث هو مكالمة، سرَّبها ضابط مخابراتٍ أمريكي لصحيفة نيويورك تايمز ولم يكشف عن هويته، جرت تموز/ يوليو عام ٢٠١٩م بَيْنَ الرئيس الأمريكي ترامب والرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي. وفي هٰذه المكالمة فقد بدا أنَّ ترامب يدفع نحو ربط المساعدات العسكرية الأمريكية لأوكرانيا بفتح تحقيقات قد تساعده في مسيرته السياسية. فقد عرض ترامب عَلىٰ نظيره الأوكراني الإفراج عن المساعدات العسكرية المعتمدة من قبل الكونجرس والتي تبلغ قيمتها ٤٠٠ مليون دولار، بالإضافة إِلىٰ استقباله في البيت الأبيض، شريطة

أن يقوم الرئيس الأوكراني بالتَّحقيق في شبهة طالت نائب الرئيس الأمريكي السَّابق جو بايدن، إذ كان ابنه هانتر بايدن عضواً بمجلس إدارة إحدىٰ شركات الطَّاقة الأوكرانية حينما كان والده يشغل موقع نائب الرئيس الأمريكي في إدارة أوباما.

التُّهمة ثابتة ومؤكدة فيما يبدو، وبالقياس إلىٰ ما حدث مع ريتشارد نيكسون، الجمهوري مثل ترامب، وعزله بسبب ضلوعه في تجسس حزبه عَلىٰ الحزب الديمقراطي، فإن هٰذه التُّهمة كافية لعزله. كافية لعزله لأنَّهَا تفسد الممارسة الديمقراطيَّة الأمريكيَّة القائمة عَلىٰ هذين الحزبين. كافية لأَنَّها إذا تمَّ السكوت عليها ستفتح باباً واسعاً لحرب وسخة قذرة بَيْنَ الحزبين في إقصاء بعضهما عن السُّلطة... كافية لأن تدمر الدَّولة الأمريكيَّة.

ومع ذٰلك، ثَمَّةَ سر أكبر من هٰذه التهمة التي أراد البرلمانيون لها العلنية، وهي أول محاكمة علنية لرئيس أمريكي. العلنيَّة التي أرادها أنصار المحاكمة ورُبَّما غيرهم من غير الظاهرين في الصورة مقصودة لأمرين عَلىٰ الأقل:

أولهما حشد الرأي العام الأمريكي وتهيئته للعزل الذي يبدو أَنَّهُم مصرُّون عليه وليست مسألة تلقين درس أو تهديد أو ابتزاز أو حَتَّىٰ استعراض سياسي.

ثانيهما: التعمية عَلىٰ حقيقة مخفية لا يراد لها أن تظهر لأسباب تمس هيبة الدولة ومكانتها وأمن الدولة وسلامتها.

والسؤال الذي يلي ذٰلك بالضَّرورة ما هي هٰذه الحقيقة التي يريد الأمريكيون إخفاءها؟

الحقيقة هي ما اكتشفته تحقيقات مولر وأخفته المؤسسة الأمريكية.

لم تمض إلا أشهر قليلة عَلىٰ حلفان ترامب اليمين الدستورية لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية عَلىٰ انفجرت فضيحة التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية والذي حدث بعد ذٰلك من خلال نقاط:

ـ العمل عَلىٰ بدء التحقيق في الموضوع وهٰذا أمر طبيعي وغير ممكن أن يتم تجاوزه.

ـ تخلخل سلطة ترامب بالعزل والإقالة حَتَّىٰ إِنَّهُ الرئيس الأمريكي الوحيد الذي غير بالوزراء هٰذه التغيرات الهائلة نسبيًّا. ورُبَّما لا ينافسه في ذٰلك إلا دولتان عربيتان صغيرتان.

. تخلخل سلطة ترامب أيضاً بكثرة استقالات كبار المسؤولين التي لم نشهد لها نظيراً عند أي رئيس أمريكي سابق ولا حَتَّىٰ غير أمريكي في العالم الغربي.

. استمرار التحقيق وسط مشكلات كثيرة منها الاستقالات والإقالات.

ـ تأكيدات قاطعة من مولر رسميًّا وبالتسريبات حَتَّىٰ بلغت عدم القبول بالشك بأن روسيا تدخلت تدخلاً كبيراً في الانتخابات الأمريكية وأدت زورا وتزويراً إِلىٰ نجاح ترامب في الرئاسة.

. تهديد ترامب بأنه إذا تم عزله فإن الاقتصاد العالمي سيتعرض لزلزال.

. المطمطة في التحقيق وإعلان النَّتائج الرَّسميَّة.

. فجأة تم الانتهاء من التَّحقيق وعدم السماح بإعلان النتائج.

ـ مع ذٰلك فإن التسريبات قطعت بوجود تدخل روسي عَلىٰ نحو ما في الانتخابات الأمريكي، وأضاف المسؤولون الأمريكيون بأنَّهَا لم تؤثِّر في النَّتائج.

هٰكَذا انتهت الحكاية. ألقي الصندوق في البئر وأهيل فوقه التراب.

ولٰكنَّ الحقائق الناجمة عن كثيرٍ من القرائن تقطع بأن روسيا هي التي أوصلت ترامب إِلىٰ السلطة، وأن ترامب مدين لبوتين بذلك. وأن ترامب يدفع الثمن من قيمة الولايات المتحدة ومكانتها ونفوذها. ومن ثُمَّ فإن الضغوط عَلىٰ الرئيس الأوكراني أن تفهم في سياق العلاقة مع روسيا أيضاً، نظراً لما تمثله أوكرانيا لروسيا من بوابة وعمق استراتيجي. ومع ذٰلك الأمر لا يتوقف هنا بحال من الأحوال، الشواهد والأمثلة والأدلة كثيرة وكثيرة جدًّا.

فهل سيستطيع الأمريكان الاعتراف بأن رئيسهم عميل؟

كما لم يعترف الروس بأنَّ ميخائيل غورباتشوف كان عميلاً لأمريكا فدمَّر الاتحاد السوفيتي تنفيذاً لمهمته التي أوكلت إليه، كَذٰلكَ لن يستطيع الأمريكان الاعتراف بأنَّ رئيسهم عميل. مع الفرق الهائل بَيْنَ غورباتشوف وترامب. فإنَّ عنجهية ترامب وعدم قبوله الهزيمة هي التي جعلته يقبل خدمات الروس في تزوير الانتخابات. خدمات الروس له في الانتخابات أمر لا يشكُّ فيه أحد وقد أقرته الاستخبارات الأمريكية وتحقيقات مولر المعلنة. فإذا كانت الاستخبارات الأمريكية ومولر هم لم يستطيعوا إلا أن يقروا ذٰلك فتخيل مَدَىٰ ما كن بالفعل من تدخل واختراق روسي للسيادة الأمريكية، حَتَّىٰ ولو لم يكن ترامب عميلاً.

وَلِذٰلكَ تمَّ تمييع القضيَّة وسحبها من التداول تدريجيًّا لأنها فضيحة تتجاوز كل الفضائح في التاريخ ما عدا الفضيحة التي لم تنشر وهي إيصال غورباتشوف إِلىٰ رئاسة الاتحاد السوفيتي الذي مضىٰ غير مأسوف عليه بطبيعة الحال. ولٰكنَّ نتحدث عن فكرة في المبدأ.

وَلِذٰلكَ لا يمكن محاكمة ترامب وعزله بهذه التُّهمة لأنَّهَا ستصدع الولايات المتحدة وتؤدِّي إِلىٰ انهيارها عَلىٰ نحو حتميٍّ. فما كان إلاَّ أن بلع الأمريكيون حسرتهم وناموا عَلىٰ أحلام الفرصة التي تتيح لهم ترقيع هٰذه المأساة. وكانت الفرصة في مكالمة يفترض أن لا تخضع للمراقبة؛ إنَّهَا مكالمة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

هٰذا يفترض أن المحاكمة ستستمرُّ وستنتهي إِلىٰ عزل الرَّئيس ترامب.

حَتَّىٰ يتمَّ العزل فإنَّنا أمام خطوتين أولهما المساءلة في الكونچرس وإقرار عزل الرَّئيس من منصبه بالأكثريَّة، وإذا تمَّ ذٰلك وقد تم يحالُ الأمر إِلىٰ الخطوة التَّالية والنِّهائيَّة وهي إقرار مجلس الشيوخ الذي سيكون ملزماً بعقد المحاكمة وغير ملزم بالنَّتيجة التي تحتاج إِلىٰ أكثرية الثلثين. وهنا الخاتمة التي تجلو الحقيقة.

مجلس الشيوخ يحظىٰ بأكثرية جمهوريَّة، أي مع الرئيس ترامب وَلِذٰلكَ فمن غير المرجح بحالٍ من الأحوال أن يقدم مجلس الشيوخ عَلىٰ اتخاذ قرار بعزل الرئيس الجمهوري لما يمثله ذٰلك من صفعة قاصمة للحزب.

فكيف إذن ستنجلي الحقيقة؟

من اللازم أن تعرف أيضاً أن شخصية مثل ترامب لا يمكن أن تقبل الاستقالة المبكرة مثل سلفه الجمهوري ريتشارد نيكسون، ولن يكرر لن يسمح له الحزب بتكرار سابقة سلفه الجمهوري نيكسون فتكون صفعة قاسمة للحزب الجمهوري. وَلِذٰلكَ لن تكون هناك استقالة مبكرة.

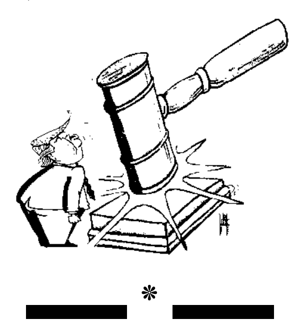
والحل إذن؟

إذا لم يترشَّح ترامب لولاية دستورية ثانية فإنَّ الذي حدث هو أنَّ تهمة العمالة لروسيا وقد تَمَّت لملمتها بصفقة سريَّةٍ وافق فيها ترامب عَلىٰ عدم التَّرشح لولاية ثانية، وهٰذا ما يكشف عن أسباب المطمطة حَتَّىٰ اقتراب نهاية ولايته الدُّستوريَّة عَلىٰ نحو رسميٍّ.

وإذا تمَّ عزله فهذا يقطع الشَّك باليقين بأنَّ مشكلته وتهمته الحقيقية هي العمالة لروسيا. لأَنَّهُ لو كانت التُّهمة مثل ما ورد في لائحة الاتهام لجاز لأكثريَّة الجمهوريين عرقلة قرار العزل كما حدث مع الرئيسين السَّابقين.

أمَّا إذا لم يتم العزل وترشَّح لولاية ثانية فهذا لا ينفي تهمة العمالة للروس فهي تهمة تمَّ البتُّ فيها من الأمريكان أنفسهم ولٰكنَّ بنبرة خفيفة ومخفَّفة. وإنَّما تم تجاوزها لتقديرات مركز صناعة القرار الأمريكي.

تركيا في ١٨/ ١٠/ ٢٠١٩م



*

الخاتمة

العقول الخطية توجب أصولاً معينة للمقدمات والخواتيم وتقيم الدنيا ولا تقعدها فيما لو خرجت هٰذه المقدمات والخواتيم عن الأصول والضوابط التي يسمونها أكاديمية والكاديمية من ذٰلك براء.

بل يوجبون وجود المقدمات والخواتيم وجوب الفرائض الشرعية، والأطرف من ذٰلك أَنَّهُم لا يرون المقدِّمة مقدمةً إلا إذا كتب الكاتب فوقها مقدمة. ولا يرون الخاتمة خاتمة ما لم يكت الكاتب فوقها خاتمة.

وَكَذٰلكَ في محاكمة الأبحاث وتقسماتها وتبويبها وغير ذٰلك كثير. محاكمات خطية لا تفترق عن تفكر القرود في شيء.

تخيَّل قصيدةً طويلة أو قصيرة عَلىٰ رأسها كلمة مقدمة، وبعد بضعة أبيات كلمة المتن أو العرض أو القسم الأول، ثُمَّ بعد قليل البند الأول من القسم الأول.. وهلم جرًّا.

البحث في حقيقة الأمر لا يختلف عن القصيدة من جهة المبدأ. البحث جهد إبداعي لا يقوم به إلا مبدع، فإذا قام به دعيٌّ فعل فعلة الغراب في التَّقليد بالضَّرورة فالتبس عليه الأمر وصار يقيس أشطر الشعر بعود الكبريت، فما نقص عن عود الكبريت أو زاد فهو مكسور الوزن أو فيه خلل، وليس من ثَمَّ شعراً.

حَتَّىٰ الآن خاتمةٌ لا علاقة لها بالكتاب من قريب ولا من بعيد، ولٰكنَّهَا لها علاقة بالخاتمة لا خاتمة الكتاب وإنما الخاتمة مفهوماً. وأكتفي بما قلت والكلام في ذٰلك طويل. وأعود إِلىٰ الكتاب؛ ترامب ضمير الغرب.

تضمن الكتاب في غير موضع إشارات وتصريحات عَلىٰ مشكلة خطيرة هي وضوح السِّياسة الغربيَّة تجاه المسلمين قديماً وحديثاً وراهناً ومع ذٰلك يظل المسلمون يأملون الخير من المواقف الأمريكيَّة والغربيَّة تجاه قضايا العرب والمسلمين... وينتظرون وقوفها ووقوف الغرب معهم في حروبهم ضد أعدائهم الذين هم ربائب الغرب!!!

أتحدَّث عن العرب والمسلمين أناساً عاديين ومفكرين ومحللين ولا أتحدَّث عن الطَّبقات الحاكمة والمأجورة التي تقوم بأدوار وظيفيَّة.

فمَتَىٰ يصحو الضَّمير العربيُّ والمسلم؟

مَتَىٰ يدرك المسلمون والعرب اتجاهات البوصلة؟



*

المؤلف في سطور

- الدكتور عزت لسيد أحمد.
- أديب وباحث في الدراسات الفلسفية.
- إجازة/ دبلوم/ ماجستير/ دكتوراه في الفلسفة في كليَّة الآداب بـ جامعة دمشق.
- دبلوم تأهيل تربوي من كليَّة التربية بـ جامعة دمشق.
- مدرس ثمَّ أستاذ مساعد ثمَّ أستاذ في قسم الفلسـفة بجامعة تشرين منذ عام ١٩٩٤ حَتَّىٰ ٢٠١٢م.
- رئيس قسم الفلسفة في جامعة تشرين منذ عام ١٩٩٨م إلى ١٩٩٩م.
- رئيس قسم الفلسفة في جامعة تشرين منذ عام ٢٠٠٦م إلى ٢٠١٠م.
- محاضر في قسم المناهج في كلية التربية بجامعة دمشق ـ ١٩٩٣ـ ١٩٩٨م.
- محاضر في المعهد الوطني للإدارة منذ تأسيسه عام ٢٠٠٣م حتى ٢٠١٢م.
- محاضر في كلية العلوم السياسية بجامعة دمشق عام ٢٠٠٦م ـ ٢٠٠٧م.
- عضو مساهم في تحديث قانون تنظيم الجامعات بسوريا عام ٢٠٠٥/٢٠٠٦م.
- عضو لجنة (برنامج قطاع تطوير التعليم العالي في سوريا ـ UHES) ـ ٢٠١٠م.
- باحث زائر في جامعة مارتن لوثر بألمانيا ـ ٢٠١٠م.
- أستاذ دراسات عليا زائر في قسم الفلسفة بالجامعة الأردنية ـ ٢٠١٣م ـ ٢٠١٤م.

. أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة بولاند أجاويد. تركيا منذ ٢٠١٥م.

. مرشح لوسام الشخصيات الأكثر تأثيراً في العالم عام ٢٠١٣م في كلية ويلدنبرج الدولية.

. شارك في الكثير من المؤتمرات العلمية محاضراً ومنظماً في عدد من الدول العربية والأجنبية.

. شارك في تحكيم الكثير أطروحات الماجستير والدكتوراه في عدد من الدول العربية والأجنبية.

. شارك في تحكيم عشرات الأبحاث العلمية للمجلات والمؤتمرات والمراكز البحثية.

من مؤلفاته البحثية والإبداعية:

- أخلاق التخلف؛ مقالات فلسفية. دار فن وعلم. طرابلس. ٢٠١٨م.
- أعاجيب السياسة الأمريكية. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠١١م.
- إشكالية تعدد المناهج. دار العالم العربي. عمان. ٢٠١٧م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي. الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٥م.
- آفاق التمدد الفارسي. دار العالم العربي. بيروت. ٢٠١٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم. دار الفتح. دمشق. ١٩٩٣م.

- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- الإنسان يأكل الإنسان؛ ملحمة شعرية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار إنسانية الإنسان . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار أوهام فوبيا الإسلام . كيملك يايانلان . قيصرية . تركيا . ٢٠١٧م
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. . دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار قيم المعارضة العربية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

- انهيار وهم الحوار بَيْنَ الحضارات . إيبرو للطباعة . بيروت . ٢٠١٦م.
- الأيديولوجيا والعلم؛ العلاقة بَيْنَ الأيديولوجيا والعلم والفهم . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٧م
- البحيري؛ عبقرية وغربة وجمال . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- بطيخة للاستئناس؛ قصص قصيرة . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- التهكم وفن الإضحاك عند الجاحظ . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة ثورة في كل شيء . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

- الثورة السورية وأزمة القيادة . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والحلول التهريجية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحب والإبداع والحياة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٧م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- حوار في الذاكرة بيني وبنيتي . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين . . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- سكر مالح (قصص) . حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.
- السوريون بناة حضارات الإغريق واليونان والرومان؛ عَلىٰ هامش نزيف العقل العربي . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٧م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- صوت السوط (مسرحية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.
- الطريق إلىٰ الإبداع؛ نحو نظرية جديدة . إيبرو للطباعة . ٢٠١٦م.
- عاد العوا؛ أخلاقه وفلسفته الأخلاقية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٧م.

- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العدوان الأمريكي على سوريا؛ حقيقة الموقف الأمريكي من الثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- العدوان الروسي على سوريا؛ مشروع إبادة الشعب والحضارة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- العرب أعداء أنفسهم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) . دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- الغرب الجاني على نفسه . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون . دار طلاس . دمشق . ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند الجاحظ . دار العالم العربي . عمان . ٢٠١٧م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.

- فلسفة الفن والجمال عند كاسيوس لونجينوس . العالم العربي للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأًصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) — دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كاسيوس لونجينوس: الرائع؛ بحث جمالي فيمة الروعة . ترجمة ودراسة تقديم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- الكل يطلق النار على السوريين وثورتهم . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.

- اللعب مع الكلاب (قصص قصيرة) . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- ماذا لو تبعثر الكلام؟!؛ لوحات شعرية . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٧م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- معجم أعلام عصر النهضة العربية . العالم العربي للنشر . عمان . ٢٠١٨م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- ملحمة المجانين (ملحمة شعرية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت مفتاح الحياة؛ قراءة فلسفية . دار فن وعلم . طرابلس . ٢٠١٨م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- نجوم عربية تستطع في سماء الغرب؛ على هامش نزيف العقل العربي . كيملك يايانلان . قيصرية . تركيا . ٢٠١٨م.

- نزيف العقل العربي؛ رؤية في هجرة الكفاءات العربية . العالم العربي . عمان . ٢٠١٦م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا — ط أولى؛ دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م. ط ثانية؛ دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.
- يصغر أمامك الكلم (شعر) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.





الفهرس





Donald Trump, Batı'nın vicdanıdır

İnatçı, netlik ve açık siyaset

Yazar BROF. Dr.

EZZAT ASSAYED AHMAD

170 Sayfa

Yayımcı

Yaratıcılık dünyası Yayınları

İlk baskı

2019



Donald Trump is the conscience of the West

Stubborn, clarity, and open politics

BY BROF. Dr.

EZZAT ASSAYED AHMAD

170 pages

Publisher



First edition

2019